جامعة الأزهر

كلية أصول الدين بالقاهرة

الدعاء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية
دراسة موضوعية

إعداد

د/ عبد التواب حسن محمد إبراهيم

المدرس بقسم التفسير وعلومه بالكلية

مقدمــــة

الحمد لله رب العالمين أحمده سبحانه وتعالى حمدا كـثيرا علـى مـا أنعم وتفضل،وأشكره على ما أعطى وتكرم فهو أهل للحمد، وأصلي وأسلم على خاتم أنبيائه ورسله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم تسـليما كثيرا، وبعد:

فإن الله تعالى خلقنا لغاية عظيمة ومهمة كريمة وهي عبادتـه وإفـراده بهـذه العبادة قال تعالى﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾([1])،والعبادة مفهومهـا واسع فهي تشمل كل الحركات والسكنات إذا أريـد بهـا وجهـه سـبحانه وتعالى،ولكنها لا تقبل إلا إذا كانت خالصة لوجهه، وصحيحة علي ما شـرع في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ قال تعـالى﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾([2])

ومن أنواع هذه العبادات التي ينبغي أن يفرد العبد بها ربه تبارك وتعالى عبادة الدعاء فقد ورد في الحديث(الدعاء هو العبادة)([3]) والدعاء فضلا عن كونه عبـادة فهو سلاح خطير إذا استخدمته الأمة في مواجهة عدوها مع الأخذ بأسباب القوة لا ينبغي لأحد أن يقلل من خطره وقدره .

ولما كان للدعاء هذه المترلة من العبادة أردت أن أقف أمام هذا الموضوع باذلا قدر الطاقة لأبين موقف القرآن والسنة من هذه العبادة وبيـان فضـلها وأهميتـها وجعلت عنوان هذا البحث(الدعاء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية) دراسـة موضوعية.

---

(١) سورة الذاريات الآية (٥٦).

(٢) سورة البينة من الآية (٥).

(٣) سيأتي تخريجه.

وقد قسمت الموضوع إلى مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة .

أما **المقدمة**: فتحدثت فيها عن الموضوع وأهميته ومنهج البحث فيه .

وأما **التمهيد**:فتحدثت فيه عن تعريف الدعاء لغة واصطلاحا،ومنزلة الدعاء من العبادة ، وهل يتعارض الدعاء مع القضاء والقدر؟.

المبحث الأول:الحث على الدعاء.

المبحث الثاني:آداب الدعاء.

المبحث الثالث:موقف القرآن من التوجه بالدعاء لغير الله تعالى.

المبحث الرابع: الدعاء كما ورد في القرآن الكريم.

وقد قسمت هذا النوع إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول:الأدعية التي وردت في القرآن على لسان الأنبياء .

القسم الثاني:الأدعية التي وردت في القرآن على لسان غير الأنبياء.

القسم الثالث:الأدعية التي لقنها الله لبعض خلقه.

والمبحث الرابع:آثار الدعاء في حياة المؤمنين.

وأما **الخاتمة**:فتحدثت فيها عن أهم النتائج.

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج التالي:

١ــ عزو الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢ــ تخريج الأحاديث النبوية من كتب السنة المعتمدة مع الحكم عليها غالبا.

٣ــ عزو النقول إلى أصحابها من العلماء مع ذكر المصدر ورقم الجزء والصفحة ما أمكن.

٤ــ شرح الآيات القرآنية بإيجاز مع الاعتماد على كتب التفسير في ذلك.

وقد اجتهدت في هذا الموضوع لأبين حديث القرآن عن عبادة الدعاء التي ربما يستهين البعض بالحديث عنها الآن وأنه لا فائدة من الكتابة في هذا الموضوع ولو

أنهم أدركوا الخطر المحدق بالأمة في هذا الزمان لعرفوا قيمة هذا السلاح الذي كان سببا في نصر السابقين مع أخذهم بأسباب قوتهم وعزتهم.

فإن أكن وفقت فمن الله وحده وإن كانت الأخرى فحسبي أنني اجتهدت والله من وراء القصد.

د/ عبد التواب حسن محمد إبراهيم

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين القاهرة

التمهيد

مفهوم الدعاء ومنزلته من العبادة

ومدى تعارضه مع القضاء والقدر

تعريف الدعاء لغة:

الدعاء هو الطلب، والسؤال، والاستغاثة فأنت تقول:دعوت الله إذا سألته وطلبت منه ، واستغثته.

يقول الراغب الأصفهاني في مفرداته:

" دعا : الدعاء كالنداء إلا أن النداء قد يقال بيا أو أيا أو نحو ذلك من غير أن يضم إليه الاسم، والدعاء لا يقال إلا إذا كان معه الإسم نحو يا فلان، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر قال تعالى﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾(١)

ويستعمل استعمال التسمية نحو:دعوت ابني زيدا أي سميته قال تعالى﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا...﴾(٢) حثا على تعظيمه وذلك مخاطبة من كان يقول يا محمد.

ودعوته إذا سألته،وإذا استغثته قال تعالى﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾(٣)أي: سله، وقال﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾(٤) تنبيها أنكم إذا أصابتكم شدة لم تفزعوا إلا إليه ..

---

(١) سورة البقرة من الآية(١٧١).

(٢) سورة النور من الآية (٦٣).

(٣) سورة البقرة من الآية (٦٨).

(٤) سورة الأنعام الآية(٤٠، ٤١).

والدعاء إلى الشيء: الحث على قصده﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾(١)،﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾(٢)،والدعوى: الدعاء قال تعالى﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾"(٣)(٤)

ويقول ابن منظور في لسان العرب:

قال الله تعالى﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(٥) قال أبو إسحاق:يقول:ادعوا من استدعيتم طاعته ورجوتم معونته من الإتيان بسورة مثله، وقال الفراء:ادعوا شهداءكم من دون الله يقول آلهتكم يقول استغيثوا بهم، وهو كقولك للرجل إذا لقيت العدو خاليا فادع المسلمين ومعناه:فاستغث بالمسلمين فالدعاء هنا بمعنى الاستغاثة، وقد يكون الدعاء عبادة﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(٦)

وقال أبو إسحاق في قوله تعالى﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾(٧) معنى الدعاء لله على ثلاثة أوجه:فضرب منها توحيده والثناء عليه كقولك يا الله لا إله إلا أنت،وكقولك:ربنا ولك الحمد إذا قلته فقد دعوته بقولك ربنا ثم أتيت بالثناء

---

(١) سورة يوسف من الآية(٣٣).

(٢) سورة يونس من الآية(٢٥).

(٣) سورة يونس من الآية(١٠).

(٤) معجم مفردات القرآن للراغب الأصفهاني (١٧١، ١٧٢) ط دار الفكر، تحقيق نديم مرعشلي، بدون تاريخ .

(٥) سورة البقرة من الآية(٢٣).

(٦) سورة الأعراف من الآية (١٩٤).

(٧) سورة البقرة من الآية (١٨٦).

والتوحيد ومثله قوله عزوجل ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ...﴾[1] فهذا ضرب من الدعاء .

والضرب الثاني: مسألة العفو والرحمة وما يقرب منه كقولك:اللهم اغفر لنا.

والضرب الثالث:مسألة الحظ من الدنيا كقولك:اللهم ارزقني مالا وولدا.

وإنما سمي هذا جميعه دعاء لأن الإنسان يُصدّر هذه الأشياء بقوله يا الله يا رب يا رحمن ؛ فلذلك سمي دعاء[2].

ويقول الإمام السيوطي في الإتقان تحت عنوان: في معرفة الوجوه والنظائر"ومن ذلك الدعاء ورد على أوجه:

١ـ العبادة ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ..﴾[3]

٢ـ الاستغاثة﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾[4]

٣ـ السؤال﴿..ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[5]

٤ـ القول مثل قوله ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ..﴾[6]

٥ـ النداء﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ..﴾[7]

٦ـ التسمية﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا..﴾[8][9]

---

(١) سورة غافر من الآية (٦٠).

(٢) لسان العرب لابن منظور (٤/ ٣٥٩ ،٣٦٠) ط دار إحياء التراث العربي لبنان بيروت ط ثالثة ، بدون تاريخ .

(٣) سورة يونس من الآية(١٠٦).

(٤) سورة البقرة من الآية (٢٣).

(٥) سورة غافر من الآية (٦٠).

(٦) سورة يونس من الآية (١٠).

(٧) سورة الإسراء من الآية (٥٢).

(٨) سورة النور من الآية (٦٣).

(٩)الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٤١٦/١) ط مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٢٤هـ ـ٢٠٠٤م.

من خلال أقوال هؤلاء الأعلام من أهل اللغة يتبين لنا أن الدعاء كلمة واسعة المعنى تكون بمعنى السؤال،والطلب،والاستغاثة،والنداء،والقول ،والتسمية،والعبادة إلا أن المقصود بها هنا السؤال،والطلب، والاستغاثة وهو الموافق للمعنى الاصطلاحي للدعاء فيما نحن بصدد الحديث عنه.

الدعاء اصطلاحا:هو هو الرغبة إلى الله تعالى فيما عنده من الخير والابتهال إليه بالسؤال وطلب العبد من ربه ما فيه نفعه من أمور الدنيا والدين.

فحقيقة الدعاء هي مناداة من تريد مخاطبته لتخبره أو تأمره ،أو تنهاه ،أو تستفهمه، والمقصود هاهنا مناداة الله سبحانه وتعالى ومخاطبته لما يريد من عبيده من جلب نفع أو دفع ضر فيقول أعطني، ولا تحرمني، وأبقي عليه لفظ الدعاء وإن كان أمرا أو نهيا تتريها للإلهية أن يتعلق بها الأمر أو النهي ، ولفظ الأمر إذا صدر من الأعلى إلى الأدنى يقال له أمر، وإذا صدر من الأدنى إلى الأعلى يقال له دعاء، وإذا صدر من المساوي لمساويه يسمى التماسا .

فالدعاء يقتضي أن يكون هناك داع وهو العبد، ومجيب أعلى وهو الله سبحانه وتعالى، ودعوة وهو ما يطلبه العبد، وفي كل من الداعي والدعوة يلزم آداب وشروط سنذكرها فيما بعد .

منزلة الدعاء من العبادة

إن الله تبارك وتعالى ما خلق الخلق إلا لعبادته قال تعالى﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾[1] فالعبادة هي الغاية من الخلق ولابد أن تكون هذه العبادة خالصة لله تعالى وحده لأنه هو المتوحد بالخلق والرزق والتدبير باعتراف جميع الخلق بذلك حتى المشركين كما حكى الله عنهم ذلك بقوله ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ..﴾[2]

---

(١) سورة الذاريات الآيتان(٥٦، ٥٧).

(٢) سورة الزخرف من الآية (٨٧).

ولم يجادل في تلك الحقيقة وهي توحيد الربوبية إلا الدهريون الذين قالوا كما حكي القرآن عنهم﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾(١)وبعض الطوائف والأفراد المعاندين،وقد حكي القرآن عن بعضهم من أمثال النمرود، وفرعون قال تعالى﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ...﴾(٢) وقال حكاية عن فرعون﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(٣)

فلم يكن النمرود ولا فرعون يجهلان وجود الله تعالى، وإنما جادلا بالباطل حفاظا على الملك والسلطان واستتباع الناس لهما،لذلك سرعان ما بهت النمرود وانقطع، أما فرعون فقد لج في عناده حتى أخذه الله نكال الآخرة والأولى،وأعلن إيمانه وإسلامه بعد فوات الأوان (٤).

ومن التوحيد الذي هو مقتضى العبادة التي وردت بأسلوب الحصر– وهو النفي والاستثناء – توحيده وإفراده بجميع أنواع العبادة فلا نعبد إلا الله بمفهوم العبادة الشامل للصلاة،والذكر،والحب،والخوف، والتوكل،والدعاء، والنذر، والقسم ...الخ.

فالدعاء إذن من العبادة،بل إن الدعاء هو العبادة الحقيقية لله تعالى؛ ولذلك ورد في آيات كثيرة تعاقبهما في المعنى فورد التعبير عن الدعاء بالعبادة ، والتعبير عن العبادة بالدعاء ،فالدعاء هو أعلى أنواع العبادة وأرفعها وأشرفها قال

---

(١) سورة الجاثية من الآية (٢٤).

(٢) سورة البقرة من الآية (٢٥٨).

(٣) سورة الشعراء من الآية (٢٣).

(٤) المدخل إلى التفسير الموضوعي د/عبد الستار فتح الله سعيد بتصرف (١٠٢، ١٠٣) ط دار التوزيع والنشر الإسلامية ط ثانية ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

تعالى﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(١) فقد دلت الآية على أن الدعاء من العبادة فإنه سبحانه أمر عباده أن يدعوه ثم قال﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ فأفاد بذلك أن الدعاء عبادة ، وأن ترك دعاء الله استكبار،ولا أقبح من هذا الاستكبار،وكيف يستكبر العبد عن دعاء من هو خالقه ورازقه وموجده من العدم وخالق العالم كله ورازقه ومجيبه ومثيبه ومعاقبه ؟ فلا شك أن هذا الاستكبار طرف من الجنون وشعبة من كفران النعم.

كما ورد في الحديث أيضا مما يبين مكانة الدعاء ومنزلته من العبادة من حديث أنس مرفوعا(الدعاء مخ العبادة)(٢)

يقول الإمام الصنعاني في سبل السلام:أي خالصا؛لأن مخ الشيء خالصه، وإنما كان مخها لأمرين:

الأول:أنه امتثال لأمر الله حيث قال (ادعوني).

والثاني:أن الداعي إذا علم أن نجاح الأمور من الله تعالى انقطع عما سواه وأفرده بطلب الحاجات وإنزال الفاقات، وهذا هو مراد الله من العبادة (٣).

---

(١) سورة غافر من الآية (٦٠).

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في سننه ك: الدعوات و باب ما جاء في فضل الدعاء ح ٣٣٨٠ وقال أبو عيسى هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة(سنن الترمذي ٩٣٧) ط دار ابن حزم ط أولى١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م ، وهو حديث ضعيف بهذا اللفظ ينظر ضعيف الترمذي للألباني

(٣٩٥) ط مكتبة المعارف ط ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م .

(٣) سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام للصنعاني (١٥٤١/٤) ط دار الفكر١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

وعن النعمان بن بشير ﷺعن النبيﷺ قال(إن الدعاء هو العبادة، ويدل له قوله تعالى﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(١)،وقد ورد في الحث على الدعاء أحاديث كثيرة ، وهو يتضمن حقيقة العبودية والاعتراف بغنى الرب سبحانه وافتقار العبد،وقدرته تعالى وعجز العبد، وإحاطته تعالى بكل شيء علما فالدعاء يزيد العبد قربا من ربه واعترافا بحقه ، ولذلك حث النبيﷺ عليه ، وعلَّمه الله عباده في القرآن.

أيهما أولى الدعاء أم التفويض والتسليم والرضا بالأمر؟

ومع هذه المنزلة العظيمة للدعاء وأنه هو العبادة أو مخها كما ورد في الآيات والأحاديث إلا أن هناك من يرى أن ترك الدعاء أفضل، بل يرى البعض أن الدعاء لا فائدة فيه ؛ لأن الأمر المدعو به إن كان في علم الله واقعا فهو لابد واقع ، وإن لم يكن واقعا فهو غير واقع لا محالة.

يقول الإمام النووي ــ رحمه الله ــ:

اعلم أن المذهب المختار الذي عليه الفقهاء والمحدثون وجماهير العلماء من الطوائف كلها من السلف والخلف أن الدعاء مستحب قال الله تعالى﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ..﴾(٢)، وقال﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً...﴾(٣)،والآيات

---

(١) أخرجه ابن ماجة ك: الدعاء ، باب: فضل الدعاء ح ٣٨٢٨(سنن ابن ماجة ٥٧٦) ط دار ابن حزم ط أولى١٤٢٢هـ ـــ ٢٠٠١م ، وأخرجه الترمذي في سننه ك: الدعوات ، باب: ما جاء في فضل الدعاء ح ٣٣٨١(سنن الترمذي ٩٣٧) وقال هذا حديث حسن صحيح ، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي للألباني٣/ ٣٨٣ ، ٣٨٤) ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ط ثانية ١٤٢٢هـ ــ٢٠٠٢م.

(٢) سورة غافر من الآية (٦٠).

(٣) سورة الأعراف من الآية (٥٥) .

في ذلك كثيرة مشهورة،وأما الأحاديث الصحيحة فهي أشهر من أن تشهر وأظهر من أن تذكر، وقد ذكرنا بالدعوات ما به الكفاية وبالله التوفيق.

وروينا في رسالة الإمام أبي القاسم القشيري قال:اختلف الناس في أن الأفضل الدعاء أم السكوت والرضا ؟

فمنهم من قال الدعاء عبادة للحديث السابق(الدعاء هو العبادة)(١) ؛ولأن الدعاء إظهار الافتقار إلى الله تعالى.

وقال طائفة: السكوت والخمود تحت جريان الحكم أتم والرضا بما سبق به القدر أولى.

وقال قوم: يكون صاحب دعاء بلسانه ورضا بقلبه ليأتي بالأمرين جميعا.

قال القشيري:والأولى أن يقال:الأوقات مختلفة،ففي بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو الأدب، وفي بعض الأحوال السكوت أفضل من الدعاء وهو الأدب، وإنما يعرف ذلك بالوقت فإذا وجد في قلبه إشارة إلى الدعاء فالدعاء أولى به ، وإذا وجد إشارة إلى السكوت فالسكوت أتم.

قال (يعنى القشيري): ويصح أن يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب أو لله تعالى فيه حق فالدعاء أولى لكونه عبادة،وإن كان لنفسك فيه نصيب فالسكوت أتم، وقال بعضهم:الدعاء إظهار الفاقة وإلا فالله سبحانه يفعل ما يشاء "(٢).

وقال الإمام ابن حجر:وهذه الآية (يعنى قوله تعالى﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...﴾ وقال: وهذه الآية ظاهرة في ترجيح الدعاء على التفويض.

---

(١) سبق تخريجه صـ ١٢ .

(٢) الأذكار للإمام النووي (٤٢١، ٤٢٢) ط أولى١٤٢٢هـ ـــ ٢٠٠١م تحقيق طه عبد الرءوف سعد .

وقال طائفة:الأفضل ترك الدعاء والاستسلام للقضاء،وأجابوا عن الآية بأن آخرها دل على أن المراد بالدعاء العبادة لقوله﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾، واستدلوا بحديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ..)([1])

وشذت طائفة فقالوا: المراد بالدعاء في الآية ترك الذنوب.

وأجاب الجمهور:أن الدعاء من أعظم العبادة فهو كالحديث الآخر (الحج عرفة)([2]) أي معظم الحج وركنه الأكبر، ويؤيده ما أخرجه الترمذي من حديث أنس رفعه (الدعاء مخ العبادة)([3])، وقد تواردت الآثار عن النبي ﷺ بالترغيب في الدعاء والحث عليه ..

وقال الشيخ تقي الدين السبكي:الأولى حمل الدعاء في الآية على ظاهره، وأما قوله بعد ذلك (عن عبادتي) فوجه الربط:أن الدعاء أخص من العبادة فمن استكبر عن ذلك كفر، وأما من تركه لمقصد من المقاصد فلا يتوجه إليه الوعيد المذكور، وإن كنا نرى أن ملازمة الدعاء والاستكثار منه أرجح من تركه لكثرة الأدلة الواردة في الحث عليه([4]).

فما أجمل هذا التوفيق الذي ذكره العلامة تقي الدين السبكي فيما نقله عنه الحافظ ابن حجر في الفتح، وما جمع به الإمام القشيري بين الدعاء والتفويض وعليه

---

(١) سبق تخريجه صـ ١٢ .

(٢)أخرجه الترمذي ك : الحج ، باب : ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج (سنن الترمذي ٢٨٤) ح ٨٨٩ ، وأخرجه ابن ماجة ك: المناسك، باب: من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع ح ٣٠١٥(سنن ابن ماجة ٤٥٦) وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي١/٤٥٩).

(٣) سبق تخريجه صـ ١١ .

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني(١١/١١٤) ط دار السلام ط ثالثة ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .

يحمل قول الخليل عليه السلام هو أعلم بحالي وهو غني عن سؤالي فكان الرضا والسكوت في حقه أتم ، وأما إذا كان ترك الدعاء استكبارا عنه فهذا كفر كما قال الشيخ تقي الدين السبكي ولذلك جاء الوعيد في آخر الآية المذكورة ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾

وقد ساق الإمام ابن حجر قول من قال إن السكوت والرضا أولى لما فيه من التسليم قائلا: وشبهتهم أن الداعي لا يعرف ما قدر له فدعاؤه إن كان على وفق المقدور فهو تحصيل الحاصل،وإن كان على خلافه فهو معاندة .

والجواب عن **الأول**:أن الدعاء من جملة العبادة لما فيه من الخضوع والافتقار.

وعن **الثاني**: أنه إذا اعتقد أنه لا يقع إلا ما قدر الله تعالى كان إذعانا لا معاندة، وفائدة الدعاء تحصيل الثواب بامتثال الأمر، ولاحتمال أن يكون المدعو به موقوفا على الدعاء لأن الله خالق الأسباب ومسبباتها([1]).

بل إنك ترى الإمام الصنعاني يعجب ممن يسوق هذا الخلاف لأنه يرى أن الدعاء أفضل لأنه عبادة قال رحمه الله:" فالعجب من الاشتغال بذكر الخلاف بين من قال بأن التفويض والتسليم أفضل من الدعاء فإنّ قائلَ هذا ما ذاق حلاوة المناجاة لربه ولا تضرعه واعترافه بحاجته وذنبه" ([2]).

من كل ما سبق يتبين لنا تلك المنزلة الرفيعة والمنزلة العظيمة لعبادة الدعاء .

إذا تبين لك هذا فهل يتعارض الدعاء مع القضاء والقدر؟

يقول حجة الإسلام الإمام الغزالي: فإن قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له ؟ فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما أن الترس سبب لرد السهم ، والماء سبب لخروج النبات من الأرض،

---

(١) المرجع السابق (١٢/٣٧٢) ط دار الفكر ط أولى ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م .

(٢) سبل السلام للصنعاني(٤/١٥٣٢) .

فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان ، وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح وقد قال تعالى﴿..خُذُوا حِذْرَكُمْ ..﴾([1])، وأن لا تسقى الأرض بعد بث البذر ، فيقال:إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر وإن لم يسق لم يثبت، بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي هو كلمح البصر أو هو أقرب فلا تناقض بينهما "([2]).

وعلى هذا الجمع بين الدعاء والقضاء والقدر وعدم التعارض بينهما تحمل الأحاديث التي وردت في هذا المعنى ومنها:

ما رواه الحاكم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ:(لا يغنى حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء ينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة)([3])

وروي أيضا من حديث ابن عمر﷛ عن النبي ﷺ قال:(الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء)([4]).وغيرها .

---

(١) سورة النساء من الآية (٧١).

(٢)إحياء علوم الدين للإمام الغزالي بتصرف(١/٣١٠) ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان١٤٢١هـ ــ ٢٠٠١م.

(٣) الحديث رواه الحاكم وصححه ح ١٨٤٩ وقال الذهبي :زكريا بن منظور مجمع على ضعفه، المستدرك(٢/٥٣) ط دار الفكر١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠٢م ، تحقيق د/ محمود مطرجي .

(٤) أخرجه الترمذي ك: الدعوات ، باب : في دعاء النبي ﷺ ح ٣٥٥٧ (سنن الترمذي٩٨١) وقال الترمذي:هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي وحسنه الألباني، وأخرجه الحاكم ك: الدعاء والتسبيح والتكبير والتهليل والذكر ح ١٨٥١ (المستدرك٢/٥٣).

المبحث الأول

الحث على الدعاء

ورد الحث على الدعاء في القرآن الكريم والسنة النبوية وهذا مما يدل على فضل الله على عباده في أن عرفهم طريقه ودلهم على بابه حتى يطرقوه ويلوذوا بجنابه، وسنقف أمام بعض هذه الآيات والأحاديث لنبين موطن العبرة فيها والعظة .

ومن هذه الآيات قوله تعالى﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾([1])

يقول الإمام البيضاوي في بيان صلة هذه الآية لما قبلها: واعلم أنه تعالى لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على أنه خبير بأحوالهم سميع لأقوالهم مجيب لدعائهم، مجاز على أعمالهم تأكيدا وحثا عليه([2]).

أخرج ابن جرير الطبري وغيره عن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال:أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فسكت عنه فنزلت الآية﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾([3])

والمتأمل في الآية الكريمة يرى أن الله عبر بلفظ(عبادي) وهو تعبير يشمل العباد جميعا مؤمنهم وكافرهم فلم يقل: وإذا سألك المؤمنون أو المسلمون، وإنما عبر

---

(١) سورة البقرة الآية (١٨٦) .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي (١/٤٦٧) ط دار الفكر ١٤١٦هـ ـ١٩٩٦م .

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٣/٢٢٣) ط دار هجر أولى١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م تحقيق د/عبد الله بن عبد المحسن التركي ،وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/١٨٦) ط مكتبة أولاد الشيخ للتراث ط أولى١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م تحقيق مصطفى السيد محمد ومجموعة .

بالعباد ليفتح الباب أمام الكافر لسؤاله والرجوع إليه والتوبة من الكفر، وفي ذلك من الرحمة ما فيه.

يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله: وقبل أن يمضي السياق في بيان أحكام تفصيلية عن مواعيد الصيام،وحدود المتاع فيه وحدود الإمساك، نجد لفتة عجيبة إلى أعماق النفس وخفايا السريرة، نجد العوض الكامل الحبيب المرغوب عن مشقة الصوم، والجزاء المعجل على الاستجابة لله، نجد ذلك العوض وهذا الجزاء في القرب من الله ، وفي استجابته للدعاء، تصوره ألفاظ رفافة شفافة تكاد تنير:﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾

فإني قريب، أجيب دعوة الداع إذا دعان ،أية رقة؟ وأي انعطاف؟ وأية شفافية؟ وأي إيناس؟ وأين تقع مشقة الصوم ومشقة أي تكليف في ظل هذا الود ، وظل هذا القرب ، وظل هذا الإيناس؟

وفي كل لفظ في التعبير في الآية كلها تلك النداوة الحبيبة:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ إضافة العباد إليه،والرد المباشر عليهم منه، لم يقل: فقل لهم:إني قريب،إنما تولى بذاته العلية الجواب على عباده بمجرد السؤال، قريب، ولم يقل أسمع الدعاء، إنما عجل بإجابة الدعاء:﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾

إنها آية عجيبة،آية تسكب في قلب المؤمن النداوة الحلوة،والود المؤنس، والرضى المطمئن، والثقة واليقين، ويعيش منها المؤمن في جناب رضيّ ، وقربى ندية ، وملاذ أمين وقرار مكين.(١)

---

(١) في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب(١/١٧٢، ١٧٣) ط دار الشروق ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .

وليس المراد بالقرب هنا قرب المكان بل المراد القرب بالعلم وما تقتضيه إجابة الدعاء.

فهذه الآية فيها حث من الله تعالى للعباد أن يسألوه بما تحمل كلماتها من شفافية عظيمة كما رأينا من كلام الشهيد سيد قطب.

أي شرف للإنسان أعظم من أن يكون عبدا لله فالإنسان إذا قيل له أنت عبد لفلان غضب غضبا شديدا وأقام الدنيا ولم يقعدها، ولكن إذا قيل له:أنت عبد الله رضي واطمئن؛ لأن العبودية أشرف المقامات قال الشاعر:

ومما زادني شرفا وتيها ... وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي ... وأن صيرت أحمد لي نبيا

ولذلك لما كان للعبودية هذا الشرف العظيم وصف الله بها نبيهﷺ في أعظم المواقف ففي مقام إنزال القرآن عليه قال﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾(١)وقال﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾(٢)، وفي مقام الإسراء قال﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى..﴾(٣)

ثم إن قوله تعالى في الآية ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ما يدل على سرعة هذه الإجابة فهي مرهونة بالسؤال شريطة أن يحقق العبد الإيمان والاستجابة لأوامر الله تعالى .

ومن هذه الآيات أيضا التي فيها حث من الله لعباده على سؤاله قوله تعالى﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾(٤)

---

(١) سورة الكهف الآية (١).

(٢) سورة النجم الآية (١٠).

(٣) سورة الإسراء الآية (١).

(٤) سورة النساء الآية (٣٢).

أخرج الترمذي عن أم سلمة قالت:يا رسول الله يغزو الرجال ولا يغزو النساء،وإنما لنا نصف الميراث فأنزل الله الآية([1]).

فنجد هذه الآية تحمل ردا لأم سلمة ولغيرها من النساء مبينة أن الله المشرع الحكيم شرع ما فيه مصلحة العباد فهو الخالق العالم بطبيعتهم﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾([2]) فيعلم أن الرجال طبيعتهم تصلح للغزو والقتال دون النساء فكلفهم به ولم يكلف به النساء، وأما تقسيم الميراث فهذا قائم علي قانون محكم يعلمه سبحانه ولذلك أمر بعدم مخالفته فقال عقب آيات الميراث﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾([3]).

ولم تكن أم سلمة رضي الله عنها تسأل سؤال اعتراض، وإنما هو سؤال استخبار، ولكن لهث الآن بهذه الدعاوى مغرضون مشككون يطالبون بتسوية المرأة بالرجل في الميراث وهم لا يدرون أن هذا التشريع هو العدل لأنها لا تطالب بالنفقة وإنما هي مسئولة من أبيها وزوجها وإنما تقع الأعباء والنفقات في المهر والإنفاق على عاتق الرجل فهو المكلف بذلك كله.

---

(١) أخرجه الترمذي ك: تفسير القرآن سورة النساء ح ٣٠٣٠،(سنن الترمذي ٨٤٠) وقال فيه الترمذي: هذا حديث مرسل، ورواه بعضهم عن أبي نجيح عن مجاهد مرسل أن أم سلمة قالت كذا وكذا ، وذكره ابن كثير في تفسيره (٥/٤) ، وينظر أسباب الترول للواحدي (٨٣) ط دار الفكر١٤٢١هـ ـــ٢٠٠١م ط أولى، وينظر أسباب الترول للسيوطي(١٠٠) ط دار الغد الجديد ط أولى١٤٢٣هـ ـــ ٢٠٠٢م .

(٢) سورة الملك الآية (١٤).

(٣) سورة النساء الآيتان (١٣، ١٤).

ولكن الشاهد في الآية أنها توجه الأنظار إلى سؤال الله تعالى﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾أي:اسألوا الله من خزائنه التي لا تنفد فإنه يحب أن يسأل وهو يجيب السائلين.

ومن هذه الآيات أيضا قوله تعالى﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾([1])

وفي معنى قوله﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قولان :

أحدهما:أن ادعوني بمعنى اعبدوني أثبكم، وهو مروي عن ابن عباس، والضحاك، ومجاهد، وعن الثوري أنه قيل له: ادع الله تعالى، فقال:إن ترك الذنوب هو الدعاء يعني أن الدعاء باللسان ترجمة عن طلب الباطن،وأنه إنما يصح لصحة التوجه وترك المخالفة ،فمن ترك الذنوب فقد سأل الحق بلسان الاستعداد وهو الدعاء الذي يلزمه الإجابة ومن لا يتركها فليس بسائل وإن دعاه سبحانه ألف مرة، وهذا القول هو المطابق لقوله تعالى﴿يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾.

والثاني:هو أن يكون المعنى اسألوني أعطكم وهو المروي عن السدي ،ومعنى قوله﴿يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾أي:يستكبرون عن دعائي؛ لأن الدعاء نوع من العبادة ومن أفضل أنواعها ، بل روي ابن المنذر والحاكم وصححه عن ابن عباس﵄ أنه قال:أفضل العبادة الدعاء وقرأ الآية ([2]).

والتوعد على الاستكبار عنه لأن ذلك عادة المترفين المسرفين وإنما المؤمن يتضرع إلى الله تعالى في كل تقلباته، وفي إيقاع العبادة صلة الاستكبار(إن الذين يستكبرون) ما يؤذن بأن الدعاء باب من أبواب الخضوع لأن العبادة خضوع،

---

(١) سورة غافر الآية (٦٠).

(٢)أخرجه الحاكم ك: الدعاء والتسبيح والتكبير ح ١٨٤١ وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٥١/٢).

ولأن المراد بالعبادة الدعاء والاستكبار إنما يكون عن شيء إذا أتـى بـه لم يكـن مستكبراً .

ورجح العلامة المدقق[١] في «الكشف»: الوجه الثاني وهو أن المراد بالدعاء في الآية حقيقته وهو السؤال لأنه الأظهر بحسب اللفظ والأنسب إلى السياق ؛ لأنه لما جعل المجادلة في آيات الله تعالى من الكبر جعل الدعاء وتسليم آياته من الخضوع لأن الداعي له تعالى الملتجئ إليه عز وجل لا يجادل في آياته بغير سلطان منه البتة .

وأيد العلامة الألوسي هذا الترجيح قائلا:

وما ذكره من أظهرية هذا الوجه بحسب اللفظ ظاهر جداً لما في الأول(وهو أن المراد بالدعاء الإجابة) من ارتكاب خلاف الظاهر قبل الحاجة إليه في موضعين في الدعاء حيث تجوز به عن العبادة لتضمنها له أو لأنه عبادة خاصة أريد به المطلق ، وفي الاستجابة حيث جعلت الإثابة على العبادة لترتبها عليها استجابة مجازاً أو مشاكلة، بخلاف الثاني(وهو أن المراد بالدعاء حقيقة السؤال) فإن فيه ارتكاب خلاف الظاهر وهو التجوز في موضع واحد وهو﴿عَنْ عِبَادَتِي﴾ ومع هذا هو بعد الحاجة فلم يكن كنزع الخف قبل الوصول إلى الماء بل قيل:لا حاجة إلى التجوز فيه لأن الإضافة مراد بها العهد هنا فتقيد ما تقدم(يقصد الإضافة في قوله عن عبادتي)أي عبادتي المعهودة[٢] .أ هـ

والأصل كما هو مقرر في محله أنه لا يصار عـن الحقيقـة إلى المجاز إلا إذا تعذرت الحقيقة ، فيحمل اللفظ على حقيقته ما دام حمله عليها سائغا.

---

(١) العلامة المدقق :هو الإمام العلامة عمر بن عبد الرحمن الفارسي القزويني له حاشية على تفسير الكشاف سماها الكشف توفي سنة ٧٤٥هـ.(كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ٢/٧٠٤) ط دار الفكر ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م

(٢) روح المعاني للألوسي (٢٤/١٢٣، ١٢٤) بتصرف ط دار الفكر بدون تاريخ.

ومما سبق يتبن لنا أن المراد بالدعاء في الآية حقيقته، وفيها حث من الله لعباده على دعائه وسؤاله، كما أن في الآية وجها من وجوه الإعجاز وهو الإعجاز الغيبي وهو القانون السماوي الذي لا يتخلف أبدا في أي زمان أو مكان أدعوني أستجب لكم أي إذا دعوتموني كما أمرتكم استجبت لكم كما وعدتكم،وفي الآية ما يـدل على سرعة الإجابة حيث لم يفصل بين الدعاء والإجابة بفاصل من حروف العطف كالفاء، أو الواو، أو ثم، أو غيرها كأنه بمجرد الدعاء يكون الجواب مـع تحقيـق شروطه وآدابه لا يتخلف إلا لحكمة كما سنبين ذلك .

فهذه بعض الآيات التي يحث الله تعالى فيها عباده على سؤاله وطلبه وغيرهـا كثير في القرآن منها قوله تعالى﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[١]﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٢]،وغير ذلك من الآيات.

كما ورد الحث على الدعاء في السنة النبوية ومن هذه الأحاديث التي تـدل على ذلك ما أخرجه البخاري في الأدب المفرد من حديث أبي هريرة مرفوعا (من لم يسأل الله يغضب عليه)[٣]، وأخرج الترمذي من حديث ابن مسعود مرفوعا(سلوا

---

(١) سورة الأعراف من الآية (٢٣) .

(٢) سورة الأعراف الآية (٥٥) .

(٣)أخرجه البخاري في الأدب المفرد باب: من لم يسأل الله يغضب عليه ح ٦٦٠ (الأدب المفرد ١٧٥) ط دار السلام ط ثانية ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م تحقيق أحمد عبد الرازق البكري ، وأخرجه الترمذي ك : الدعوات، باب٢ح ٣٣٨٢ (سنن الترمذي٩٣٧) وقال : وقد روى وكيع وغير واحد هذا الحديث عن أبي مليح ولا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي٣/٣٨٤).

الله من فضله فإنه يجب أن يسأل)([1])، كما دلت السنة على أن الدعاء من أكرم الأعمال عند الله تعالى فعن أبي هريرة ﷺعن النبي ﷺ قال: ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء)([2]) وغير ذلك من الأحاديث التي تدل على مكانة الدعاء ومنزلته وحث الله ورسوله عليه.

---

(١) أخرجه الترمذي ك: الدعوات ، باب : في انتظار الفرج ح ٣٥٧١ (سنن الترمذي ٩٨٨) وضعفه الألباني (٤٢٥).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد باب فضل الدعاء ح ٧١٥ (الأدب المفرد ١٩٠) ، وأخرجه ابن ماجة ك: الدعوات، باب:فضل الدعاء ح ٣٨٢٩ (سنن ابن ماجة ٥٧٦)، وأخرجه الترمذي ك: الدعوات، باب: ما جاء في فضل الدعاء ح٣٣٧٠ (سنن الترمذي ٩٣٧) وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث عمران القطان، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٣/٣٨٣) .

المبحث الثاني

آداب الدعاء

إن الدعاء عبادة لله تعالى كما سبق أن ذكرنا، ولا بد لهذه العبادة أن تحصل على وجهها الأتم حتى تؤتي ثمرتها المرجوة منها وهي استجابة الله للداعي، فينبغي للداعي أن يحقق آداب الدعاء وهي عبارة عن مجموعة من الأفعال والأحوال التي يجب على الداعي أن يقوم بها في كل مرحلة من مراحل إقباله على الله والضراعة إليه، وانتهاء بالفراغ من الدعاء وانتظار حصول الفرج أو قضاء الحاجة التي من أجلها كان الدعاء وكذلك ما ينبغي أن يفعله العبد إذا قضي الله حاجته وهذه الآداب على النحو التالي :

أولا ـ تجنب الحرام في المأكل والملبس والمشرب، وهو آكد هذه الآداب:

وهو مطلب عام في حياة المسلم ينبغي أن يتجنب أكل الحرام أو لبسه فالحرام عاقبته وخيمة ، وقد ورد الوعيد الشديد عليه والزجر من الله تعالى ومن النبي ﷺ ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ(يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾([1])،وقال﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ..﴾([2])، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام وملبسه حرام ، وغذي بالحرام فأني يستجاب لذلك)([3])

---

(١) سورة المؤمنون الآية (٥١) .

(٢) سورة البقرة من الآية (١٧٢)

(٣) أخرجه مسلم ك : الزكاة ، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ح١٠١٥(صحيح مسلم٧/٨٥)، وأخرجه الترمذي ك: أبواب تفسير القرآن، باب : ٣ح٬ ٢٩٨٩ (سنن الترمذى٦٥٥) ط دار الأعلام ط أولى١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م تحقيق عادل مرشد .

وورد في الحديث (إن العبد ليأكل اللقمة من حرام لا يقبل له عمل أربعين يوما)(١)،وقال النبي لسعد بن أبي وقاصﷺ لما قال:يا رسول الله ادع الله أن أكون مستجاب الدعوة فقال له النبيﷺ:(أطب مطعمك تستجب دعوتك)(٢) فتحري الحلال سبيل لاستجابة الدعاء.

ثانيا ـ أن يترصد لدعائه الأوقات الفاضلة،والأحوال الشريفة التي هي مظنة الإجابة ومنها:

١ـ ليلة القدر:وهي ليلة عظيمة يستجيب الله فيها الدعاء ممن دعاه ولذلك كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان يلتمسها ويقول(التمسوها في الوتر من العشر الأخير من رمضان)(٣)،

ويقول (من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)(٤).

٢ـ يوم عرفة:

ويوم عرفة فضله عظيم وثوابه جسيم يكفر الله فيه الذنوب العظام، ويضاعف فيه العمل الصالح فقد قالﷺ(صيام يوم عرفة إني أحتسب على الله أن يكفر السنة

---

(١) عزاه الهيثمي للطبراني في الصغير وقال وفيه من لم أعرفهم ك: الزهد، باب : فيمن أكل حلالا أو حراما ح١٨١٠١(مجمع الزوائد١٠/٥٢١) ، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢/٣١٧) ط دار إحياء التراث العربي ببيروت لبنان ط أولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

(٢) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب(٢/٣١٧) .

(٣) أخرجه البخاري ك: فضل ليلة القدر، باب: تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر ح٢٠٢١ من حديث ابن عباس(صحيح البخاري١/٤٧٧، ٤٧٨).

(٤)أخرجه البخاري ك: فضل ليلة القدر، باب : فضل ليلة القدرح٢٠١٤(صحيح البخاري١/٤٧٦) ، وأخرجه مسلم ك: صلاة المسافرين وقصرها، باب:الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح ح٧٦٠ من حديث أبي هريرة (صحيح مسلم ٥/٣٥) .

التي قبله والتي بعده)(١)،وأخرج الترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال:(خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)(٢).

وروى ابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:(ما من يوم أكثر أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو عزوجل ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء ؟)(٣)

٣ـ شهر رمضان:

وهو شهر عظيم خصه الله تعالى بنزول القرآن الكريم على رسوله ﷺ وخصه بفريضة الصيام التي هي ركن من أركان الإسلام فالدعاء فيه مستجاب وخاصة وقت الإفطار لقوله ﷺ (ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم)(٤)

---

(١) أخرجه الترمذي ك: الصوم ، باب : ما جاء في فضل صوم يوم عرفة ح ٧٨٧٤(سنن الترمذي٤٢٥) من حديث أبي قتادة وقال الترمذي : حديث حسن، وأخرجه ابن ماجة ك: الصيام، باب: صيام يوم عرفة ح ١٧٣٠(سنن ابن ماجة ٢٥٥) وصححه الألباني(٢/٨٢).

(٢)أخرجه الترمذي ك: الدعوات ، باب: في دعاء يوم عرفة ح ٣٥٩٤(سنن الترمذي٩٩١) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقال الألباني هذا حديث حسن(صحيح سنن الترمذي٣/٤٧٢).

(٣) أخرجه ابن ماجة ك: المناسك، باب: الدعاء بعرفة ح ٣٠١٤(سنن ابن ماجة ٤٥٦)، وأخرجه النسائي ك: مناسك الحج ، باب: ما ذكر في يوم عرفة ح٣٠٠٥(سنن النسائي٤٣٨)، وصححه الألباني(صحيح سنن ابن ماجة٣/٤٣).

(٤) أخرجه أبو داوود ك: الصلاة ، باب : الدعاء بظهر الغيب ح١٥٣٦(سنن أبي داوود ٢٣٩) ط دار ابن حزم ط أولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م ، وأخرجه ابن ماجة ك: الدعاء ،

يقول الإمام ابن كثير: وفي ذكره تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء(يعني قوله تعالى﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ، متخللة بين أحكام الصيام، إرشاداً إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدّة، بل وعندَ كلّ فطر، كما رواه الإمام أبو داود الطيالسي في مسنده:حدثنا أبو محمد المليكي، عن عَمْرو- هو ابن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عمرو، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:(للصائم عند إفطاره دعوة مستجابة". فكان عبد الله بن عمرو إذ أفطر دعا أهله، وولده ودعا)[1] .

وقال أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة في سننه:حدثنا هشام بن عمار، أخبرنا الوليد بن مسلم، عن إسحاق بن عبيد الله المدني، عن عَبْد الله بن أبي مُلَيْكة، عن عبد الله بن عَمْرو، قال: قال النبيﷺ:(إن للصائم عند فطره دَعْوةً ما تُردّ". قال عَبْد الله بن أبي مُلَيْكة: سمعت عبد الله بن عَمْرو يقول إذا أفطر:اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعَتْ كل شيء أن تغفر لي)[2].[3]

باب : دعوة الوالد ودعوة المظلوم ح٣٨٦٢(سنن ابن ماجة ٥٨٢)،وأخرجه الترمذي ك : الدعوات ح ٣٦٠٧ (سنن الترمذي٩٩٣) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن ، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجة ٣٦٢/٣).

(١) مسند الطيالسي برقم ٢٢٦٢.

(٢)أخرجه ابن ماجة ك: الصيام ، باب: في الصائم لا ترد دعوته ح ١٧٥٣ (سنن ابن ماجة ٢٥٨) وقال البوصيري في الزوائد (٣٨/٢): "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات" وحسنه الحافظ ابن حجر في "نتائج الأفكار"

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير(١٩٣/٢) ط مؤسسة قرطبة ط أولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .

٤ ـ ليلة الجمعة ويومها وساعتها:

ويوم الجمعة يوم عظيم مبارك تشهده الملائكة جعل الله فيه ساعة يستجيب فيها الدعاء ممن دعاه لكنه أخفاها كما أخفي ليلة القدر حتى يجتهد العبد في جميع الأوقات في طاعة مولاه وعبادته فيستحب الدعاء فيها فعن أبي هريرة ﷺ قال قال أبو القاسم ﷺ(في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله خيرا إلا أعطاه، وقال بيده قلنا يقللها يزهدها)[1] ومعنى: قال بيده يعني فعل بيده يقللها ويزهدها.

ولقوله ﷺ (وفيه ـ أي يوم الجمعة ـ ساعة لا يسأل العبد فيها شيئا إلا آتاه إياه ما لم يسأل حراما)[2]

فمن هذه الروايات وغيرها يتبين لنا فضل هذا اليوم وليلته وأنه ينبغي أن يغتنم الداعي تلك الساعات ليلوذ فيها بالقرب من مولاه،والأنس بمحبوبه.

٥ـ جوف الليل والنصف الثاني منه:

يقول الإمام الغزالي:وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضا إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من المشوشات، ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله عز وجل[3].

---

(١) أخرجه البخاري ك: الدعوات ، باب: الدعاء في الساعة التي في يوم الجمعة ح ٦٤٠٠(فتح الباري٢٣٨/١١) ط دار السلام الرياض ط ثالثة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٢) أخرجه ابن ماجة ك: إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب: في فضل الجمعة ح ١٠٨٤(سنن ابن ماجة ١٥٩) من حديث أبي لبابة بن عبد المنذر، وأخرجه الترمذي ك: الجمعة ، باب: ما جاء في الساعة التي ترجى في يوم الجمعة ح ٤٩٠ من حديث أبي هريرة وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح (سنن الترمذي١٧٣).

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي(٢٨٧/١) .

وعن أبي أمامة ﷺ قال : قيل يا رسول الله: أي الدعاء أسمع ؟ قال :جوف الليل ودبر الصلاة)([1])، وفي صحيح مسلم من حديث جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:(إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من أمور الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك في كل ليلة)([2]).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقي ثلث الليل الآخر فيقول:من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)([3])

قال ابن بطال:هو وقت شريف خصه الله بالتنزيل فيه فيتفضل على عباده بإجابة دعائهم، وإعطاء سؤلهم،وغفران ذنوبهم، وهو وقت غفلة وخلوة واستغراق في النوم، واستلذاذ به، ومفارقة اللذة والدعة صعب لا سيما أهل الرفاهية وفي زمن البرد، وكذا أهل التعب،ولا سيما في قصر الليل، فمن آثر القيام لمناجاة ربه والتضرع إليه مع ذلك دل على خلوص نيته ، وصحة رغبته فيما عند ربه ؛ فلذلك نبه الله عباده على الدعاء في هذا الوقت الذي تخلو فيه النفس من خواطر الدنيا وعلقها يستشعر العبد الجد والإخلاص لربه([4]).

---

(١) أخرجه الترمذي ك: الدعوات، باب منه ح ٣٥٠٨ (سنن الترمذي٩٦٩) وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وقال الألباني:حديث حسن(صحيح سنن الترمذي٣/٤٤٢).

(٢) أخرجه مسلم ك: صلاة المسافرين وقصرها، باب: في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء ح ٧٥٧(صحيح مسلم ٦/ ٣١).

(٣)أخرجه البخاري ك: الدعوات، باب: الدعاء نصف الليل ح ٦٣٢١ فتح الباري١٢/ ٤١٣)، وأخرجه مسلم ك: صلاة المسافرين وقصرها ، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل ح ٧٥٨(صحيح مسلم٦/ ٣١، ٣٢).

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري(١٢/ ٤١٣).

وفي ذلك يقول الله تعالى﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾([1])

٦ـ الدعاء بينَ الآذان والإقامة وعند الإقامة:

لحديث أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال:(الدعاء لا يرد بين الآذان والإقامة)([2]).

٧ـ الدعاء في السجود ودبر الصلوات المكتوبة:

عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء)([3])،وقد سبق حديث أبي أمامة وفيه:ودبر الصلاة، وقال مجاهد:إن الصلاة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات، والدعاء بين الآذان والإقامة ([4]).

٨ـ الدعاء عند حضور الميت:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أم سلمة قالت:دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه فقال:(إن الروح إذا قبض تبعه البصر، فضج الناس من أهله، فقال:لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون، ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين،واخلفه في عقبه في العابدين، واغفر لنا وله يا رب العالمين،وأفسح له في قبره، ونور له فيه)([5]).

---

(١) سورة السجدة الآية (١٦).

(٢) أخرج الترمذي ك. الدعوات ، باب: في العفو والعافية ح ٣٦٠٤(سنن الترمذي٩٩٣) وقال أبو عيسى: وهكذا روى أبو إسحاق الهمداني هذا الحديث عن بريد بن أبي مريم الكوفي عن أنس عن النبي ﷺ نحو هذا، وهو أصح، وصححه الألباني (٣/ ٤٧٥).

(٣) أخرجه مسلم ك: الصلاة ، باب:ما يقال في الركوع والسجود ح٤٨٢(صحيح مسلم٤/ ١٦٧).

(٤) سط احياء علوم الدين (١/ ٢٧٨).

(٥) أخرجه مسلم ك: الجنائز، باب: في إغماض الميت والدعاء له إذا احضر ح ٩٢٠(صحيح مسلم٦/ ١٨٦، ١٨٧).

فهذا الوقت وقت خروج الروح من الميت ينبغي أن يحضره الصالحون العارفون بالفقه لا السفهاء والجهال، وأن يعلم أن هذا وقت يستجيب الله فيه الدعاء فلا ينبغي أن يدعو العبد على نفسه أو ماله أو ولده بأن يقول:يا ليتني كنت أنا المتوفى وكذا وكذا ...وإنما يسأل الله الرحمة للمتوفى والمغفرة لذنوبه،وأن يلحقنا به غير خزاي ولا مفتونين .

٩ــ الدعاء عند ختم القرآن:

يستحب الدعاء عند ختم القرآن لأن هذا الوقت يستجيب الله فيه الدعاء لحديث العرباض بن سارية مرفوعا(من ختم القرآن فله دعوة مستجابة)([1]).

١٠ ــ الدعاء حال السفر:

أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ(ثلاث دعوات مستجابات:دعوة المظلوم،ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده)([2]) .

١١ــ الدعاء عند صياح الديكة:

لحديث أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ (إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكا،وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطانا)([3])

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٥٩/١٨) برقم ٦٤٧وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(١٧٢/٧): فيه عبد الحميد بن سليمان وهو ضعيف .

(٢) أخرجه الترمذي ك: الدعوات ،ح ٣٤٥٧(سنن الترمذي٣٥٨).

(٣) أخرجه مسلم ك: الذكر والدعاء ، باب: استحباب الدعاء عند صياح الديك ح٢٧٢٩ (صحيح مسلم٤١/١٧)، وأخرجه الترمذي ك: الدعوات ، باب:ما يقول إذا سمع نهيق الحمار ح ٣٤٦٨(سنن الترمذي٩٦٠) .

وغير ذلك من الأوقات والأحوال الشريفة التي يستحب للعبد أن يترصدها لدعائه فيستجيب الله له مثل الدعاء عند استواء الصفوف في سبيل الله ، وعند نزول الغيث ، وغيرهما.

ثالث هذه الآداب :أن يكون على طهارة:

يسن للعبد عند إرادة الدعاء أن يتطهر من الأدران فيكون على حال طيبة من الطهارة النفسية والبدنية تنبع من الإيمان الخالص بالله رب العالمين كإخلاص النية وحضور القلب، وصفاء النفس، فعن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قال قال رسول الله ﷺ :(من كانت له حاجة إلى الله تعالى أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء، ثم ليصل ركعتين، ثم ليثن على الله ، وليصل على النبي ﷺ، ثم ليقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان رب العرش العظيم،الحمد لله رب العالمين ،أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك،والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم ،لا تدع لي ذنبا إلا غفرته،ولا هماً إلا فرجته، ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين)([1])

رابعا ــ الاجتهاد في فعل الطاعات وترك المنكرات:

ينبغي للداعي أن يكون ملتزما بالطاعات والأوامر،ومجتنبا للمنهيات والمنكرات، وقد قال تعالى﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾([2])

يقول الدكتور/وهبة الزحيلي: وتتطلب إجابة الدعاء الاستجابة لأوامر الله بالإيمان الصحيح والطاعة،وإقامة العبادات النافعة للعباد من صلاة وصيام وزكاة وحج وغيرها،وإذا صدرت الأعمال الخالصة لله مقترنة بالإيمان كانت سبيلا للرشاد

---

(١) أخرجه الترمذي ك: الوتر، باب: ما جاء في صلاة الحاجة ح ٤٧٨(سنن الترمذي١٦٩) وقال الترمذي :هذا حديث غريب وفي إسناده مقال، وضعفه الألباني (٦٤).

(٢) سورة المائدة من الآية (٢٧)

والاهتداء إلى الخير والشامل للدنيا والآخرة؛ لأنهم إن أجابوا ما دعاهم إليه الله أجابهم إلى ما يطلبون([1]).

قال تعالى﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾([2])

فعندما بين الله تعالى أنه قريب من عباده يجيبهم إذا دعوه أمرهم أن يستجيبوا هم لله أولا وليقدموا الإيمان والاستسلام والإذعان القلبي له تعالى حتى يتحقق لهم الرشاد والهدى.

خامسا ـ تقديم التوبة النصوح، وملازمة الاستغفار:

لئن كانت التوبة النصوح واجبة على العبد في كل أحواله فإنها تكون أوجب عند إرادة الدعاء ،إذ كيف يقبل الله من عبد مُصرّ على الذنب ،أو آكل لحقوق الآخرين، وقد أمر الله عباده بالتوبة حيث قال﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾([3])،وقال﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾([4])، ويجب على مريد الدعاء أن يستغفر الله كثيرا قبل الشروع في الدعاء، فالاستغفار مدخل عظيم من مداخل إجابة الدعاء حيث يعلن العبد فيه أوبته إلى ربه ، وإقراره بذنبه ويلح في طلب المغفرة ، قال تعالى ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾([5]) فالآية تدل على تقديم الاستغفار والتوبة قبل الدعاء، وهي حكاية عن دعوة صالح عليه السلام لقومه،ثم عقب

(١) التفسير المنير(٢/١٥١، ١٥٢).
(٢) سورة البقرة من الآية (١٨٦).
(٣) سورة النور من الآية (٣١).
(٤) سورة التحريم الآية (٨) .
(٥) سورة هود من الآية (٦١) .

الأمر بقوله ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ أي قريب الرحمة ، مجيب لمن دعاه وسأله ،وصرح بعضهم أن(قَرِيبٌ) ناظر لتوبوا و(مُجِيبٌ) لاستغفروا كأنه، قيل:ارجعوا إلى الله تعالى فإنه سبحانه قَرِيبٌ منكم أقرب من حبل الوريد واسألوه المغفرة فإنه جلا وعلا مُجِيبٌ السائلين ولا يخلو عن حسن قاله الألوسي([1]).

وقد عنون الإمام البخاري في كتاب الدعوات لبابين باسم الاستغفار والتوبة قبل الحديث عن بقية الأبواب في ذلك الكتاب، قال ابن حجر :أشار المصنف بإيراد هذين البابين وهما ـ الاستغفار والتوبة ـ في أوائل كتاب الدعاء إلى أن الإجابة تسرع إلى من لم يكن متلبسا بالمعصية،فإذا قدم التوبة والاستغفار قبل الدعاء كان أمكن لإجابته([2]).

سادسا ـ تقديم عمل صالح بين يدي الدعاء:

ينبغي لمن أراد الدعاء أن يراعي هذه الآداب المتقدمة، وكلها تسبق الدعاء، ومنها التوسل إلى الله بالعمل الصالح قبل الدعاء فقد قال تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾([3])،والمراد بالوسيلة العمل الصَالح ،ولَيس المرادَ بتقديم الوسيلَةَ الاستغاثة بَالأموات والمقابر وساكنيها كما يفعله بعض الجهلة من العوام،ويدل على أن المراد بالوسيلة العمل الصالح الحديث الذي ورد في الصحيحين وهو حديث أصحاب الصخرة([4]).

سابعا ـ أن يجلس الداعي مستقبلا القبلة ويمد يديه إلى السماء:

يسن للداعي استقبال القبلة في الدعاء،وإلا فالدعاء إلى أي جهة يجوز، ولكن هذا من المستحبات التي يسن فعلها، فقد بوب الإمام البخاري بابا بعنوان:الدعاء

(١) روح المعاني للألوسي(١٢/ ١٣٢).
(٢) فتح الباري (١١/١٢٣) .
(٣) سورة المائدة الآية (٣٥) .
(٤) سيأتي تخريجه.

غير مستقبل القبلة وذكر فيه حديث أنس ﷺ قال: بينا النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة فقام رجل فقال:يا رسول الله ادع الله أن يسقينا، فتغيمت السماء ومطرنا حتى ما كاد الرجل يصل إلى منزله، فلم تزل تمطر إلى الجمعة المقبلة، فقام ذلك الرجل أو غيره فقال:ادع الله أن يصرفه عنا فقد غرقنا،فقال:اللهم حوالينا ولا علينا فجعل السحاب يتقطع حول المدينة ولا يمطر أهل المدينة)(١)

ووجه أخذه من الترجمة من جهة أن الخطيب من شأنه أن يستدبر القبلة ، ولم ينقل أنه ﷺ لما دعا في المرتين استدار.

ثم ذكر بابا آخر بعنوان:الدعاء مستقبل القبلة وذكر فيه حديث عبد الله بن زيد قال: خرج النبي ﷺ إلى هذا المصلى يستسقي فدعا فاستسقي، ثم استقبل القبلة وقلب رداءه)(٢)

فأفاد الحديث أنه استقبال القبلة عند الدعاء كما ذكره ابن حجر في الفتح، ولعل الأول محمول على حال الخطيب يوم الجمعة أن لا يستقبل القبلة عند الدعاء،والآخر محمول على غير الخطيب، فيستحب للداعي غير الخطيب يوم الجمعة استقبال القبلة عند الدعاء.

أما رفع الأيدي عند الدعاء ـ الذي أصبح ينكره في زماننا هذا بعض الناس مدعين أنه من البدع التي ينبغي الابتعاد عنهاـ فقد وردت أحاديث تدل عليه وأنه من الآداب التي ينبغي للداعي أن يتأدب بها، ومن هذه الأحاديث:عن سلمان ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري ك: الدعوات، باب:الدعاء غير مستقبل القبلة ح٦٣٤٢ (فتح الباري١١/١٧٢).

(٢) أخرجه البخاري ك: الدعوات، باب:الدعاء مستقبل القبلة ح ٦٣٤٣ (فتح الباري١١/١٧٣).

قال قال رسول الله ﷺ (إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا)(١)

قال الصنعاني:وصفه تعالى بالحياء يحمل على ما يليق به كسائر صفاته نؤمن بها ولا نكيفها، ولا يقال إنه مجاز وتطلب له العلاقات هذا مذهب أئمة الحديث والصحابة وغيرهم ، ومعنى " صفرا " بكسر الصاد المهملة وسكون الفاء أي: خالية"، فقد أفاد الحديث رفع الأيدي عند الدعاء،ومن الأحاديث أيضا قال أبو موسى الأشعري ﷺ:دعا النبي ﷺ ثم رفع يديه ورأيت بياض إبطيه)(٢)، وقال ابن عمر:رفع النبي ﷺ يديه وقال:اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد)(٣)،ومن حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ أنه رفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه)(٤).

فهذه الأحاديث تؤكد أنه من الآداب رفع الأيدي عند الدعاء وقد بوب البخاري بهذا وذكر فيه هذه الأحاديث السابقة معلقة لأنه قد تقدم في المغازي حديث أبي موسى الأشعري ،وحديث ابن عمر.

---

(١) أخرجه ابن ماجة ك: الدعاء ، باب : رفع اليدين في الدعاء ح ٣٨٦٥ (سنن ابن ماجة ٥٨٢)، وأخرجه الترمذي ك: الدعوات ح ٣٥٦٥(سنن الترمذي٩٨٤) وقال: هذا حديث حسن غريب، وأخرجه أبو داوود ك:الصلاة ، باب:الدعاء ح ١٤٨٨(سنن أبي داوود٢٣٣) وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجة ٢٦٣/٣)

(٢) أخرجه البخاري ك: المغازي ، باب : غزاة أوطاس ح ٤٣٢٣(فتح الباري ٥٢/٨) ، ومعنى أوطاس: واد في دار هوازن وهو موضع حرب حنين.

(٣)أخرجه البخاري ك: المغازي ، باب: بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ح ٤٣٣٩(فتح الباري٧١/٨) .

(٤) أخرجه البخاري ك: الدعوات ، باب: رفع الأيدي في الدعاء ح ٦٣٤١(فتح الباري ١٧٠/١١) .

وما ورد من حديث أنس ﷺ أنه ﷺ لم يكن يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا في الاستسقاء فهو صحيح، ولكن جمع بينه وبين أحاديث الباب وما في معناها: بأن المنفي صفة خاصة، لا أصل الرفع، وحاصله: أن الرفع في الاستسقاء يخالف غيره إما بالمبالغة بأن تصير اليدان في حذو الوجه مثلا، وفي الدعاء إلى حذو المنكبين، ولا يعكر على ذلك أنه ثبت في كل منهما (حتى يرى بياض إبطيه) بل يجمع بأن تكون رؤية البياض في الاستسقاء أبلغ منها في غيره، وإما أن الكفين في الاستسقاء يليان الأرض وفي الدعاء يليان السماء.

قال المنذري: وبتقدير تعذر الجمع فجانب الإثبات أرجح.

قلت: يعنى الحافظ ابن حجر: ولاسيما مع كثرة الأحاديث الواردة في ذلك، ثم قال بعد ذلك وما أخرجه مسلم من حديث عمارة بن رويبة أنه رأى بشر بن مروان يرفع يديه فأنكر ذلك وقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ وما يزيد على هذا يشير بالسبابة ([1])، فقد حكي الطبري عن بعض السلف أنه أخذ بظاهره وقال: السنة أن الداعي يشير بإصبع واحدة ، ورده بأنه إنما ورد في الخطيب حال الخطبة، وهو ظاهر في سياق الحديث فلا معنى للتمسك به في منع رفع اليدين مع ثبوت الأخبار بمشروعيتها([2])

وقد ألف الإمام السيوطي رسالة بعنوان: فض الوعاء في أحاديث رفع اليدين بالدعاء ذكر فيها الأحاديث التي تدل على مشروعية رفع اليدين عند الدعاء، فلا متمسك لمن منع ذلك قال السيوطي: وقد قلت شعرا:

ارفع يديك إلى الرحمن مبتهلا ... واسأل سؤال ذليل بالبكا ضرعا

---

(١) أخرجه مسلم ك: الجمعة ،باب: تخفيف الصلاة والخطبة ح٢٠٥٣(صحيح مسلم ١٣/٣ ط دار الجيل .

(٢) فتح الباري بشرح البخاري (١١/ ١٧١) .

فالله أكرم من يرجى وأعظم أن ... يرد باليأس من كفا له رفعا([1]).

ثامنا ـ أن يفتتح الدعاء بالحمد والثناء والصلاة على رسول الله ﷺ:

عن فضالة بن عبيد ﷺ قال: سمع رسول الله ﷺ رجلا يدعو في صلاته لم يمجد الله تعالى، ولم يصل على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ :عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره: إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه سبحانه، والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بما يشاء)([2])

يقول الإمام الرازي في بيان قوله تعالى﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ..الآيات﴾([3])

اعلم أنه تعالى لما حكي عنهم أنهم عرفوا الله بالدليل وهو قوله﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السموات والأرض﴾إلى قوله﴿لآيات لأولى الألباب﴾،ثم حكي عنهم مواظبتهم على الذكر وهو قوله﴿الذين يَذْكُرُونَ الله قياما﴾،وعلى التفكر وهو قوله﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السموات والأرض﴾،ثم حكي عنهم أنهم أثنوا على الله تعالى وهو قولهم﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذا باطلا سبحانك﴾،ثم حكي عنهم أنهم بعد الثناء اشتغلوا بالدعاء وهو من قولهم﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾إلى قوله﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الميعاد﴾بين في هذه الآية أنه استجاب دعاءهم فقال:﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ..الآية﴾،وفيه تنبيه على أن استجابة الدعاء مشروطة بهذه الأمور([4]).

---

(١) فض الوعاء في أحاديث رفع اليدين بالدعاء (١٠٢) نشر مكتبة المنار الزرقاء ط أولى ١٩٨٥م.

(٢) أخرجه الترمذي ك: الدعوات، باب: منه ح ٣٤٨٦(سنن الترمذي٩٦٤)، وقال: حديث حسن صحيح ، وصححه الألباني(٤٣٣/٣).

(٣) سورة آل عمران الآيات(١٩٠، ١٩٤) .

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي (١٥٥/٥) ط دار الفكر ١٤٢٣هـ ــ٢٠٠٢م.

فيسن للداعي إذا أراد الدعاء أن يقدم بين يدي دعائه الثناء الجميل على الله بما هو أهله، ثم الصلاة والسلام على النبي الكريمﷺ، ولا بأس أن يختم الدعاء بالصلاة عليه أيضا.

قال أبو سليمان الداراني — رحمه الله — من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبيﷺ، ثم يسأل حاجته، ثم يختم بالصلاة على النبيﷺ فإن الله عز وجل يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما[1].

تاسعا — الإخلاص لله في الدعاء مع الخشوع والتضرع والرهبة والرغبة:

إن الإخلاص هو روح أي عبادة فلا يقبل الله يوم القيامة عملا إلا إذا كان خالصا لوجهه الكريم، وإن الرياء مبطل للأعمال حيث تصير هباء منثورا لا فائدة فيها، فينبغي للداعي أن يكون مخلصا لله في دعائه مع تحقيق الذل والانكسار والضراعة بين يديه تعالى، فيسأله سؤال المذنب الفقير إلى رحمته قال تعالى﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]أي: ذوي خوف من الرد لقصوركم عن أهلية الإجابة، وطمعا في إجابته تفضلا منه،﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾،ومن الإحسان في الدعاء أن يكون مقرونا بالخوف والطمع[3].

وقال تعالى﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[4]، وقال﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

(١) إحياء علوم الدين للغزالي(٢٩٠/١).

(٢) سورة الأعراف الآية (٥٦).

(٣) تفسير أبي السعود(١٨٨/٣) ط دار الفكر ١٤٢١هـ—٢٠٠١م.

(٤) سورة الأعراف الآية (٥٥).

يُنْفِقُونَ﴾[1]، وقال﴿..فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ..﴾[2]،وقال حكاية عن زكريا (عليه السلام) وأهله﴿..إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[3]، وقال﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ..﴾[4]، وغير ذلك من الآيات التي تدل على أن الإخلاص روح العبادة والدعاء، وأن دعاء لا تضرع فيه ولا خشوع لقليل الجدوى.

عاشرا — أن يسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى،وأن يلزم الأدعية المأثورة:

قال تعالى﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[5]

وفي الآية تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره،وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك الغافلين عنه،ومعنى فادعوه بها أي:سموه بها، ويطلق الدعاء على التسمية،وعلى التضرع والأول هو المناسب للسياق أفاده الألوسي[6]، ولكن لا مانع من إرادة المعنى الثاني وهو التضرع وهو أن الداعي إذا أراد أن يسأل الله تعالى شيئا ينبغي أن يدعوه بأسمائه الحسنى،﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾والإلحاد:الميل والانحراف أي:ينحرفون عن الحق والصواب فيسمونه بما لا يجوز[7].

(١) سورة السجدة الآية (١٦).

(٢) سورة غافر من الآية (٦٥) .

(٣) سورة الأنبياء من الآية (٩٠) .

(٤) سورة العنكبوت من الآية (٦٥)

(٥) سورة الأعراف الآية (١٨٠).

(٦) روح المعاني(١٧٦/٩).

(٧) الكشاف للزمخشري(١٣٢/٢) ط دار الفكر بدون تاريخ ، تفسير أبي السعود (٢٧٣/٣).

وقال تعالى ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى..﴾(١)

أخرج ابن جرير عن ابن عباس ﵁ قال:صلى النبي ﷺ بمكة ذات يوم فدعا الله تعالى فقال في دعائه:يا الله يا رحمن،فقال المشركون :انظروا إلى هذا الصابئ ينهانا أن ندعوا إلهين وهو يدعو إلهين فترلت(٢).

وفي سنن ابن ماجه وصحيح ابن حبان من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول:اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ،ولم يكن له كفوا أحد فقال: لقد سأل الله بالاسم الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب، وفي رواية: لقد سألت الله باسمه الأعظم (٣).

وكذلك ينبغي للداعي أن يلتزم بالمأثور من الدعاء فلقد أرشدنا النبي ﷺ لكثير من الأدعية،أدعية ندعو بها في صلاتنا،وأدعية لرفع الكرب والغم والحزن والهم،وعلمنا أدعية تجلب الرزق وتدفع الأذى، وأدعية عند لقاء العدو،وعند الخوف من السلطان،وأدعية تطرد الشيطان، وأدعية تحفظ بها النعم،وأدعية عند حدوث المصيبة،وأدعية للاستسقاء، وأدعية عند هبوب الريح،وعند الرعد وعند نزول الغيث، وعند زيادة المطر والخوف منه، وعند رؤية الهلال،والدعاء عند الفطر

---

(١) سورة الإسراء من الآية (١١٠).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٢٣) بلفظ : كان النبي ﷺ ساجدا يدعو يا رحمن يا رحيم فقال المشركون: هذا يزعم انه يدعو واحدا ، وهو يدعو مثنى مثنى فأنزل الله تعالى﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.

(٣) أخرجه الترمذي ك:الدعوات ، باب: جامع الدعوات عن النبي ﷺ ح٣٤٨٤وقال: حديث حسن غريب(سنن الترمذي٩٦٤)،وصححه الألباني(صحيح سنن الترمذي٣/٤٣٢).

للصائم،وأدعية للمسافر،وأدعية لركوب الدابة، والدعاء عند إرادة دخول بلدة،والدعاء الذي يطفأ به الحريق،وأدعية عند نزول البلاء، وعند دخول السوق،وأدعية الكسوف والخسوف، وأدعية لمن فقد شيئا يدعو به،وغيرها كثير من الأدعية التي تمتلأ بها كتب السنة ، فكل حركة وسكنة في حياة المسلم لها دعاء يدعو به ويتصل به فيبقي دائما في كنف الله ورعايته، ويكون دائما في سعادة وهناء، فالقلب الموصول بالله ساكن هادئ مطمئن قوي (١).

---

(١) سأذكر جانبا من هذه الأدعية ومن أراد المزيد فعليه الرجوع إلى كتب السنة فهي مليئة بهديه ﷺ في كل حركاته وما كان يقول فيها فمن هذه الأدعية:

ـ الدعاء عند النوم:

أخرج البخاري بسنده من حديث البراء بن عازب: قال لي رسول الله ﷺ (إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل اللهم أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رهبة ورغبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت فإن مت مت على الفطرة فاجعلهن آخر ما تقول)، فقلت أستذكرهن وبرسولك الذي أرسلت ، قال(لا وبنبيك الذي أرسلت)،ومعنى:(فقلت أستذكرهن)أي رددت الكلمات لأحفظهن)البخاري ك: الدعوات ، باب: إذا بات طاهرا ح٦٣١١(فتح الباري١١/١٣١).

ـ الدعاء عند الاستيقاظ من النوم:

أخرج البخاري بسنده عن حذيفة قال: كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام قال: باسمك اللهم أموت وأحيا، وإذا استيقظ من منامه قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور) ك:الدعوات، باب: ما يقول إذا أصبح ح ٦٣٢٤(فتح الباري ١١/١٥٦).

ـ الدعاء عند الكرب:

أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب يقول:لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم ك: الدعوات ، باب: الدعاء عند الكرب ح٦٣٤٥(فتح الباري١١/١٧٤).

ـ الدعاء عند الغيث والمطر:

أخرج البخاري في الأدب المفرد من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا رأى شيئا في أفق السماء ترك عمله وإن كان في صلاة ثم أقبل عليه فإن كشفه الله حمد الله، وإن مطرت قال: اللهم صيبا نافعا) الأدب المفرد للبخاري ١٨٢) ح ٦٨٩.

ـ الدعاء إذا خاف السلطان:

عن ابن مسعود ؓ قال قال رسول الله ﷺ: إذا كان على أحدكم إمام يخاف تغطرسه أو ظلمه فليقل: اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم كن لي جارا من فلان بن فلان وأحزابه من خلائقك أن يفرط علي أحد منهم أو أن يطغي عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك) الأدب المفرد للبخاري(١٨٨، ١٨٩) باب: إذا خاف السلطان.

ـ الدعاء على الكافرين:

أخرج البخاري عن علي بن أبي طالب ؓ قال: كنا مع النبي ﷺ يوم الخندق فقال: ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس). وهي صلاة العصر ك: الدعوات، باب: الدعاء على المشركين ح ٦٣٩٦(فتح الباري١١/٢٣٢)، وغيره من الأحاديث، وساق البخاري بابا بعنوان: الدعاء للمشركين وذكر فيه حديثا عن أبي هريرة ؓ قال: قدم الطفيل بن عمرو على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن دوسا قد عصت وأبت فادع الله عليها فظن الناس أنه يدعو عليهم فقال: اللهم اهد دوسا وأت بهم) ك: الدعوات، باب: الدعاء للمشركين ح ٦٣٩٧(فتح الباري١١/٢٣٤).

وحكي ابن بطال أن الدعاء للمشركين ناسخ للدعاء عليهم ودليله قوله تعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾آل عمران(١٢٨) قال: والأكثر على أن لا نسخ ، وأن الدعاء على المشركين جائز ، وإنما النهي في حق من يرجي تألفهم ودخولهم في الإسلام، ويحتمل في التوفيق بينهما أن الجواز حيث يكون في الدعاء ما يقتضي زجرهم عن تماديهم على الكفر ، والمنع حيث يقع الدعاء عليهم بالهلاك على كفرهم. فتح الباري (١١/٢٣٤).

ـ الدعاء بكثرة المال والولد مع البركة:

أخرج البخاري بسنده عن أنس عن أم سليم أنها قالت: يا رسول الله أنس خادمك ادع الله له قال: (اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته) ك: الدعوات، باب: الدعاء بكثرة المال والولد مع البركة ح ٦٣٧٨(فتح الباري١١/٢١٧) إلى غير ذلك من هذه الأدعية المأثورة عنه ﷺ التي يستحب الدعاء بها.

حادي عشر ـ خفض الصوت بين المخافتة والجهر:

يستحب للداعي أن يخفض صوته بالدعاء بحيث يكون صوته بحال بين الجهر والمخافتة ليتحقق له وقار الدعاء الذي يجعله حريا بالرجاء يقول الله تعالى ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[١]

المراد من الدعاء السؤال والطلب وهو مخ العبادة؛ لأن الداعي لا يقدم على الدعاء إلا إذا عرف من نفسه الحاجة إلى ذلك المطلوب وأنه عاجز عن تحصيله ، وعرف أن ربه تبارك وتعالى يسمع الدعاء ويعلم الحاجة وهو قادر على إيصالها إليه.

وقيل المراد بالدعاء العبادة؛ لأنه عطف عليه ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا..﴾[٢] وفيه نظر، ومعنى ﴿تَضَرُّعًا﴾ أي: من الضراعة وهي الذل والاستكانة ، وقيل: التضرع مقابل الخفية أي دعوة علانية وخفية أي سرا، وقال جمع بكراهة رفع الصوت بالدعاء قاله الألوسي[٣].

وقال ابن المنير في الانتصاف: وحسبك في تعين الإسرار في الدعاء اقترانه بالتضرع في الآية فالإخلال به كالإخلال بالضراعة إلى الله في الدعاء، وإن دعاء لا تضرع فيه ولا خشوع لقليل الجدوى، فكذلك دعاء لا خفية ولا وقار يصحبه، وترى كثيرا من أهل زمانك يعتمدون الصراخ والصياح في الدعاء خصوصا في الجوامع حتى يعظم اللغط ويشتد، وتستد المسامع وتستك، ويهتز الداعي بالناس ولا يعلم أنه جمع بين بدعتين رفع الصوت في الدعاء وفي المسجد[٤].

---

(١) سورة الأعراف الآية (٥٥).

(٢) سورة الأعراف من الآية (٥٦).

(٣) روح المعاني (٨/٢٠٦، ٢٠٧).

(٤) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير السكندري بهامش الكشاف(٢/٨٣).

يتبين لنا أن من الأدب في الدعاء عدم رفع الصوت في الدعاء حتى يتفاحش.

وفرق آخرون فقالوا: الإخفاء أفضل عند خوف الرياء، والإظهار أفضل عند عدم خوفه، وأولى من هذا القول: القول بتقديم الإخفاء على الجهر فيما إذا خيف الرياء أو كان في الجهر تشويش على نحو مصل أو نائم، أو قارئ، أو مشتغل بعلم شرعي.

وبتقديم الجهر على الإخفاء فيما إذا خلا عن ذلك، وكان فيه قصد تعليم جاهل، أو نحو إزالة وحشة عن مستوحش، أو طرد نحو نعاس أو كسل عن الداعي نفسه.

وفرق بعضهم بين رفع الصوت جدا، وبين رفعه بحيث يسمعه من عنده فقالوا: لا بأس في الثاني غالبا، ولا كذلك الأول[١].

وأخرج ابن جرير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة – رضي الله عنها – في قوله ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا.﴾[٢] قالت: في الدعاء[٣].

وقد حكي الله عن نبيه زكريا عليه السلام قائلا ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾[٤] كما سيأتي ذكره.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال كُنَّا مَعَ النبي ﷺ في سفر فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بالتَّكْبِيرِ فَقَالَ النبيُّ ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ، قَالَ وَأَنَا خَلْفَهُ وَأَنَا أَقُولُ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ أَلاَ

(١) روح المعاني(٢٠٨/٨).

(٢) سورة الإسراء من الآية (١١٠).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٢٥/١٥).

(٤) سورة مريم الآية (٣).

أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، فَقُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: قُلْ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ[١]

فقد أمر النبي ﷺ أصحابه في هذا الحديث بعدم رفع الصوت عند الدعاء لأن الله يسمع دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء تحت الصخرة الصماء فهو السميع البصير الذي لا يحد سمعه حدود، ولا يحد بصره حدود، وقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عز وجل ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[٢][٣].

ثاني عشر – عدم الاعتداء في الدعاء:

قال تعالى ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٤]

والاعتداء هو طلب ما لا يليق بالداعي كرتبة الأنبياء كأن يقول: اللهم اجعلني نبيا، أو أطلب الصعود إلى السماء، أو غير ذلك من المستحيلات.

وقد علمنا الله فيما سرده عن نوح عليه السلام فقال ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ. قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ

(١) أخرجه مسلم ك: الذكر والدعاء، باب: استحباب خفض الصوت بالذكر ح ٢٧٠٤ (صحيح مسلم ٢٣/١٧)، وأخرجه الترمذي ك: الدعوات، ح٣٣٨٣ (سنن الترمذي ٩٣٨).

(٢) سورة المجادلة الآية(١).

(٣) أخرجه الحاكم ك: التفسير، تفسير سورة المجادلة ح ٢٨٤١ (٨٦/٣)، وصححه ووافقه الذهبي، وذكره ابن كثير في تفسيره (٤٤١/١٣).

(٤) سورة الأعراف الآية(٥٥).

﴿...أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾(١)

وهنا نبه الحق نوحا إلى الاعتداء في المطلوب فقال الحق﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، ولذلك نجد نوحا عليه السلام يستغفر لأنه سأل ودعا هذا الدعاء عن غير علم فلما عرف ذنبه استغفر الله وقال﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٢)

ولعل من الاعتداء أيضا الدعاء بإثم أو قطيعة رحم ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:(لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم)(٣)

كذلك من الاعتداء في الدعاء ما يفعله بعض أئمة المساجد من إطالة الدعاء إطالة شديدة في صلاة الصبح لدرجة أن تشرق الشمس على بعضهم وهو ما زال يدعو في قنوت الصبح مما يشق على بعض المصلين لكبر سن أو مرض أو غيرهما.

روى الإمام أحمد وأبو داوود عن سعد بن أبي وقاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء، وقرأ هذه الآية﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً..﴾، وحسب المرء أن يقول:اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ثم قرأ ﴿..إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(٤)

---

(١) سورة هود الآيتان (٤٥، ٤٦).

(٢) سورة هود الآية (٤٧).

(٣)أخرجه مسلم ك:الذكر والدعاء، باب:بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي ح ٢٧٣٥(صحيح مسلم ٤٦/١٧).

(٤) أخرجه أبو داوود ك: الصلاة ، باب: الدعاء ح١٤٨٠(سنن أبي داوود٢٣٢) ،وأخرجه أحمد في مسنده ح١٦٨٠١من حديث عبد الله بن مغفل(المسند٦٢٩/٥)، وأخرجه ابن ماجة ك:الدعاء ،باب :كراهية الاعتداء في الدعاء ح٣٨٦٤(سنن ابن ماجة ٥٨٢)وصححه الألباني(صحيح سنن ابن ماجة ٢٦٢/٣).

ثالث عشر ـ أن يعزم المسألة بجد واجتهاد:

أخرج البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن اللهم إن شئت فأعطني فإنه لا مستكره له)(١)

ومعنى الأمر بالعزم: الجد فيه وأن يجزم بوقوع مطلوبه ولا يعلق ذلك بمشيئة الله وإن كان مأمورا في جميع ما يريد فعله أن يعلقه بمشيئة الله ، قيل معنى العزم :أن يحسن الظن بالله في الإجابة(٢) .

رابع عشر ـ حضور القلب وحسن الرجاء:

ينبغي للعبد أن يكون حاضر القلب عند الدعاء مع حسن الرجاء في القبول أخرج الحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

(ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يقبل من قلب غافل لاه)(٣)، وأخرج البخاري في الأدب المفرد عن عبد الرحمن بن يزيد قال كان الربيع يأتي علقمة يوم الجمعة فلم أكن ثمة(٤) أرسلوا إليّ ، فجاء مرة ولست ثمة ، فلقيني علقمة وقال ليّ :ألم تر ما جاء به ابن الربيع ؟قال:ألم تر أكثر ما يدعو الناس وما أقل إجابتهم ؟وذلك أن الله عز وجل لا يقبل إلا الناخلة من الدعاء ،قلت:أو ليس قال

---

(١) أخرجه البخاري ك:الدعوات،باب:ليعزم المسألة فإنه لا مكره له ح٦٣٣٨ (فتح الباري١٦٧/١١)، أخرجه مسلم ك: الذكر والدعاء والتوبة ،باب: العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت ح ٢٦٧٨(صحيح مسلم٦/١٧).

(٢) فتح الباري(١٦٨/١١).

(٣) أخرجه الترمذي ك:الدعوات ح٣٤٨٨(سنن الترمذي٩٦٥) وقال أبو عيسى :حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ،وقال الألباني:حديث حسن (صحيح سنن الترمذي٣/٤٣٤).

(٤) ثَمّ:بمعنى هناك، وهو للتبعيد بمنزلة هنا للقريب.(لسان العرب١٣٢/٢).

ذلك عبد الله ؟ قال: وما قال؟ قلت:قال عبد الله:لا يسمع الله من مسمع ولا مراء ولا راغب إلا داع دعا يثبت من قلبه، قال:فذكر علقمة ؟ قال نعم)([1])

خامس عشر ـ الإلحاح في الدعاء:

ينبغي للداعي أن يلح في الدعاء ويكرره ثلاثا لحديث ابن مسعود ﷺ قال:كان رسول الله ﷺ إذا دعا دعا ثلاثا، وإذا سال سأل ثلاثا)([2])

وقد ورد في حديث سحره من لبيد بن الأعصم أنه ﷺ كرر الدعاء ([3]).

ووقع عند مسلم من رواية عبيد الله بن نمير عن هشام في هذا الحديث: فدعا ثم دعا ، ثم دعا([4]).

فلا بأس أن يلح العبد في الدعاء ويكرره،إن أحدنا ولله المثل الأعلى إذا ذهب إلى أحد المسئولين ليقضي له مصلحة ولم تقض لم يمنعه ذلك من أن يحاول مرة ومرة فأي مانع من أن يكرر العبد الدعاء بين يدي سيده، ويشعر بلذة الشوق إليه،والوقوف بين يديه، ورفع الأيدي ضارعة إليه، ومن ذاق عرف حلاوة المناجاة حتى إنه ليتمنى عدم قطعها.

ساس عشر ـ أن لا يتكلف السجع في الدعاء:

إن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع، والتكلف لا يناسبه، والسجع معناه:موالاة الكلام على روي واحد، ومنه:سجعت الحمامة إذا رددت صوتها،وقال الأزهري:هو الكلام المقفى من غير مراعاة الوزن ([5]).

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد باب: الناخلة من الدعاء ح٦٠٨(الأدب المفرد١٦٣) ومعنى الناخلة :أي الخالص وهو من يدعو الله ويظهر احتياجه إليه ، وقوله(مسمع)وهو من فعل فعلا ليشتهر به أمام الناس، وقوله يثبت من قلبه: أي يسمع الله دعاؤه .

(٢) أخرجه مسلم ك: الجهاد، باب:ما لقي النبي ﷺ من أذي المشركين والمنافقين ح ٤٧٥٠(صحيح مسلم٥/١٧٩).

(٣) أخرجه البخاري ك:الدعوات،باب: تكرير الدعاء ح ٦٣٩١(فتح الباري١١/٢٣٠).

(٤) عند مسلم ك: السلام،باب: السحر ح٢١٨٩(صحيح مسلم١٤/١٤٣، ١٤٦).

(٥) تهذيب اللغة للأزهري(١/٢١٩) ط دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط أولى١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م .

أخرج البخاري بسنده عن عكرمة عن ابن عباس قال:حدث الناس كل جمعة مرة فإن أبيت فمرتين فإن أكثرت فثلاث مرات، ولا تمل الناس هذا القرآن، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم ولكن أنصت فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه، فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك ، يعني لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب)([1]) ومعنى قوله: فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه أي لا تقصد إليه ولا تشغل فكرك به ،لما فيه من التكلف المانع للخشوع المطلوب في الدعاء.وقال ابن التين:المراد بالنهي المستكره منه.

وقال الداودي:الاستكثار منه، ولا يرد على ذلك ما وقع في الأحاديث الصحيحة ـ يعنى من الأدعية المسجوعة ـ لأن ذلك كان يصدر من غير قصد إليه ولأجل هذا يجيء في غاية الانسجام كقوله في الجهاد :اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، هازم الأحزاب.([2])وكقوله ﷺ صدق وعده ، وأعز جنده([3])،وكقوله:أعوذ بك من عين لا تدمع، ونفس لا تشبع،وقلب لا يخشع([4])، وكلها صحيحة.

---

(١) البخاري ك:الدعوات ،باب:ما يكره من السجع في الدعاء ح ٦٣٣٧(فتح الباري١٢/٤٢٤).

(٢) أخرجه البخاري ك:المغازي ،باب:غزوة الخندق وهي الأحزاب ح٤١١٥ من حديث عبد الله بن أبي أوفي وفيه :اهزم الأحزاب ،اللهم اهزمهم وزلزلهم.(فتح الباري٧/٥٠٧).

(٣) أخرجه البخاري ك:المغازي ،باب:غزوة الخندق ح٤١١٦من حديث عبد الله بن عمر، وفيه : صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده(فتح الباري٧/٥٠٧).

(٤) أخرجه الترمذي ك:الدعوات ح٣٤٩١من حديث عبد الله بن عمرو، وقال أبو عيسى وفي الباب عن جابر وأبي هريرة وابن مسعود ،وهذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني(صحيح سنن الترمذي٣/٤٣٥).

قال الغزالي:المكروه من السجع هو المتكلف؛لأنه لا يلائم الضراعة والذلة ،وإلا ففي الأدعية المأثورة كلمات متوازية لكنها غير متكلفة([1]).

سابع عشر ــ أن لا يستعجل الإجابة:

يستحب للداعي أن يدعو ويترك الإجابة إلى صاحبها وهو الله وهو الذي يعلم ما يصلح حال الإنسان مما يفسده، فلا يستحسر ويدع الدعاء وهو بمنزلة من بذر بذرا ؛أو غرس غرسا فجعل يتعاهده فلما استبطأ كماله وإدراكه تركه وأهمله أخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي)([2])

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل، قيل يا رسول الله: ما الاستعجال؟ قال:يقول قد دعوت، وقد دعوت فلم أر يستجيب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء)([3])

قال ابن بطال: المعنى أنه يسأم فيترك الدعاء فيكون كالمانّ بدعائه ،أو أنه أتى من الدعاء ما يستحق به الإجابة ، فيصير كالمبخل للرب الكريم الذي لا تعجزه الإجابة ولا ينقصه العطاء .

---

(١) فتح الباري (١٦٧/١١).

(٢) أخرجه البخاري ك:الدعوات، باب: يستجاب للعبد ما لم يعجل ح ٦٣٤٠ (فتح الباري١٦٩/٧)، وأخرجه مسلم ك: الذكر والدعاء،باب: بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل ح ٢٧٣٥(صحيح مسلم٤٥/١٧).

(٣) أخرجه مسلم ك:الذكر والدعاء ، باب: بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي ح٢٧٣٥(صحيح مسلم٤٦/١٧).

قال ابن حجر:وفي هذا الحديث أدب من آداب الدعاء وهو أن يلازم الطلب ولا ييأس من الإجابة لما في ذلك من الانقياد والاستسلام وإظهار الفاقة ،حتى قال بعض السلف:لأنا أشد خشية أن أحرم الدعاء من أن أحرم الإجابة([1]).

فالدعوة التي يدعو بها المؤمن لا ترد لأنها إما أن تعجل له الإجابة، وإما أن تدفع عنه من السوء مثلها، وإما أن يدخر له في الآخرة خير مما سأل،أخرج الحاكم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث:إما أن يعجل له دعوته،وإما أن يدخر له ، وإما أن يكف عنه من السوء بمثلها)([2]) فالإنسان بعلمه القاصر لا يدري أين الخير ولكن الله علام الغيوب يعلم ما ينفعه وما يضره.

هذه جملة آداب الدعاء التي يستحب للداعي أن يتأدب بها وهو واقف أمام عتبات مولاه .

---

(١) فتح الباري(١٦٩/١١).

(٢) أخرجه الحاكم ك: الدعاء والتسبيح والتكبير ح١٨٥٢، وقال:حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي(المستدرك٥٣/٢).

المبحث الثالث

موقف القرآن من التوجه بالدعاء لغير الله تعالى

الوحدانية صفة من صفات الله تعالى وهي تعنى اتصاف الله تعالى وحده بالربوبية والإلوهية جميعا.

والتوحيد يعنى وجوب إفراد الله سبحانه بالأمرين فلا يقال: توحيد الربوبية هو كذا ، ولا يقال توحيد الإلوهية هو كذا ؛لأن التوحيد لا يقبل التجزئة أصلا حتى يقوم أحد الوصفين مقام الآخر في الإطلاق ،ولأن المجاز لا يصار إليه في حقائق الاعتقاد.

فالتوحيد من حيث الحقيقة الشرعية هو أن يؤمن العبد بأن الله تعالى هو وحده صاحب كل صفات التأثير والكمال وأنه لذلك مستحق للعبادة والطاعة([1]).

إذن فالله تعالى هو وحده المستحق للعبادة والطاعة بمفهوم العبادة الشامل من صلاة ،وذكر، وصوم، وزكاة، ونذر، وقسم ، وخضوع ودعاء...الخ.

فالدعاء من العبادة التي يجب أن يفرد العبد فيها ربه فلا يدعو غير الله ، ولا يعتقد أن أحدا يملك النفع أو الضر، أو الحياة والموت غير الله تعالى .

وهذا أمر من العقيدة مهم يجب أن يعيه المسلم، ولما كانت هذه الأهمية البالغة للعقيدة وتربيتها في النفوس وجدنا القرآن الكريم قد خصص لها قدرا كبيرا منه بل اقتصر الحق تبارك وتعالى في الفترة المكية التي هي ثلاث عشرة سنة يعنى ما يزيد على نصف فترة الدعوة التي هي ثلاث وعشرون سنة.

نقول:اقتصر في هذه الفترة على تأصيل العقيدة والإشارة إلى أصول الشرائع إجمالا وما ذلك إلا لأهمية العقيدة لأنها تربت في نفوس العباد كانوا لما سواها من

---

(١) المدخل إلى التفسير الموضوعي للدكتور/عبد الستار فتح الله سعيد (١١١).

الشرائع مذعنين ومسلمين ،أما إذا لم تترب فيهم فسوف يجادلون في أمر الشرائع، ومن هذه العقيدة توحيد العبد لله في عبادته ومن العبادة الدعاء والسؤال فلا يكون إلا لله، ولا يسأل غير الله تعالى.

ولأهمية هذا الأمر كان النبي ﷺ يربي أصحابه عليه وهم صغار فهاهو ذا يدعو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ويقول له:يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك،احفظ الله تجده تجاهك،إذا سألت فاسأل الله ،وإذا استعنت فاستعن بالله،واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك،ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ،رفعت الأقلام وجفت الصحف)([1])

فهذا توجيه من النبي ﷺ لغلام صغير يربي فيه هذه العقيدة أن النفع والضر بيد الله، وما أحوج الأمة في هذا الزمان أن تربي أبنائها على ما ربي عليه نبيها ﷺ أصحابه حتى لا نري مثل هذا الخنوع والخضوع والذلة لغير الله تعالى مما يندى له الجبين أسي وحزنا.

وهذا التوجيه من النبي ﷺ إنما هو من تعليم الله له قال تعالى ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾([2]) ومعنى الآية :لا تطلب المنفعة والمضرة من غير الله تعالى فإن فعلت ذلك فأنت من الظالمين أي الواضعين التصرف في الشيء في غير موضعه ؛إذ ما سوى الله معزول عن

---

(١) أخرجه الترمذي ك:صفة القيامة والرقاق عن رسول الله ﷺ باب منه ح٢٥٢١، وقال:حديث حسن صحيح (سنن الترمذي٧١٥)،وصححه الألباني (٢/ ٦٠٩، ٦١٠).

(٢) سورة يونس الآية (١٠٦).

وهو موضعه غير في للشئ وضع إليه التصرف فإضافة .الظلم

قال شقيق البلخي:الظالم من طلب نفعه ممن لا يملك نفع نفسه ,واستدفع الضر ممن لا يملك الدفاع عن نفسه, ومن عجز عن إقامة نفسه كيف يقيم غيره ؟(١)

ويصور الله سبحانه الذين يدعون من دونه آلهة أخرى ويراتص حسيا رائعا فيقول(لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ)(٢)

أي:الآلهة الذين يدعوهم يعنى الكفار من دون الله عز وجل لا يستجيبون لهم بشئ مما يطلبونه منهم كائنا ما كان إلا استجابة كاستجابة الماء لمن يبسط كفيه إليه من بعيد فإنه لا يجيبه لأنه جماد لا يشعر بحاجته إليه ولا يدري أنه طلب منه أن يبلغ فاه.

ويقول الله تعالى﴿وَمَثَلُ الذينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الذي يَنعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إلا دُعَاءً وَنِدَاءً..﴾(٣) فيبين الله في هذه الآية أن الآلهة التي يعبدون من دون الله لا يسمعون ولا يجيبون لأنهم لا يعون ولا يتبينون، وأن دعاء عبادهم لهم عبث لا طائل وراءه هكذا ينعق الكفار بما لا يسمع ، وينادون ما لا يفهم فلا يصل إليه من أصواتهم إلا دعاء مبهم، ونداء لا يفهم ، فهؤلاء الآلهة لا يميزون بين الأصوات،ولا يفهمون

---

(١) روح المعاني(١١/٢٩٤).

(٢) سورة الرعد الآية (١٤).

(٣) سورة البقرة من الآية (١٧١).

مراميها، وهذا مثل تتجلى فيه غفلة الداعين، وعبث دعوتهم بجانب غفلة المدعوين واستحالة إجابتهم (١).

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يخاطب الكفار على سبيل الإنكار عليهم مبينا لهم أن هذه الآلهة لا تملك النفع ولا الضر قال تعالى﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ كَالذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٢)

وبقوله﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الذينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ قُل لا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾(٣)

وهذا أمر من الله للنبيﷺ بالتبري من عبادتهم غير الله أي قل لهم إني نهيت بما أوتيته من أدلة السمع أن أعبد هذه الأصنام الذين تدعونهم وترغبون إليهم في أموركم وحوائجكم ، قل لهم لا أتبع أهواءكم في عبادتها ،قد ضللت إن اتبعت أهواءكم وما أنا من المهتدين(٤)

وفي هذا المعنى يقول الله تعالى أيضا﴿إِنَّ الذينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ

---

(١)السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك د/ شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب(٤٨٨/١) ط مكتبة الرشد ط أولى١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م .

(٢) سورة الأنعام الآية (٧١).

(٣) سورة الأنعام الآية(٥٦).

(٤)البحر المحيط بتصرف(٥٣٠/٤).

أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ﴾(١)

أي:هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله وترجون نفعها ورفع الضر عنكم بل إنهم في الحقيقة:عباد لله فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين في عبادتهم ودعائهم وأنهم يستحقون تلك العبادة .

ثم يصور الحق الأدلة على عدم استحقاق هذه الأصنام للعبادة بقوله﴿ والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون . وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ﴾(٢)، وهذا ما استدل به الخليل إبراهيم عليه السلام على قومه عندما عبدوا الأصنام بأن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر ولا تعلم شيئا مما يدور حولها ولعل الحكمة من ترك الخليل كبير الأصنام بلا تحطيم علهم يرجعون إلى الفطرة النقية فيتبينون عدم استحقاقها للعبادة قال تعالى﴿ قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴾(٣)، وقال أيضا﴿ قال هل يسمعونكم إذ تدعون . أو ينفعونكم أو يضرون ﴾(٤)

بل إن الله تعالى يبين لهم حقيقة التوجه إليه كدليل على أنه المستحق لهذه الألوهية وحده وذلك من خلال أنفسهم قال تعالى﴿ قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب

(١) سورة الأعراف الآيتان(١٩٤، ١٩٥).

(٢) سورة الأعراف الآيتان(١٩٨، ١٩٩) .

(٣) سورة الأنبياء الآيتان(٦٦، ٦٧).

(٤) سورة الشعراء الآيتان(٧٢، ٧٣).

الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين . بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون ﴾(١)

فيبين الله في الآية أن من الأدلة على استحقاقه التوحيد دليل نفسي وهو التوجه إلى الله تعالى في وقت الشدة ليرفع عن العبد هذه الشدة فما ذلك إلا لعلم العبد بأن القادر على ذلك هو الله وحده، فدعوة غير الله تعالى لا تليق بالعبد وقد نفى الله بالاستجابة عن ما سواه من الآلهة المزعومة وغيرها لأنها لا تملك النفع والضر حتى لنفسها فكيف تملك النفع والضر لغيرها قال تعالى﴿ يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد . يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ﴾(٢)

ومعنى الآية:أي هذا الذي يعبد الله على حرف فإن أصابه الخير اطمأن، وإن أصابته الفتنة انقلب عن عبادة الله وعبد غير الله من الجمادات التي لا تضر ولا تنفع بل لا تملك دفع الضر عن نفسها ولا جلب النفع لها وهذا هو الضلال الذي ليس بعده ضلال،وتصور الآية أنه يدعو من ضره أقرب إليه من نفعه لأنه يعود عليه بالقتل في الدنيا لتبديل الدين ، والعذاب في الآخرة ، فبئس مولاه هذا ناصرا وبئس الصاحب(٣).

ويقول تعالى﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ﴾(٤)

(١) سورة الأنعام الآيتان(٤٠، ٤١).

(٢) سورة الحج الآيتان(١٢، ١٣) .

(٣) تفسير البيضاوي(٤/١١٧، ١١٨) .

(٤) سورة الأحقاف الآية (٥).

وقال تعالى ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾(١)

إلى غير ذلك من الآيات التي تبين أنه لا يجوز التوجه بالدعاء لغير الله تعالى، وأن العبد ينبغي أن يعلم علما يقينا أن دعاء غير الله لا يجوز وأن فيه إشراكا مع الله غيره وأنه إذا توجه سائلا لا يسأل إلا الله ولا يستغيث إلا بالله ، فإذا نزل به مكروه ،أو أراد استجلاب منفعة عليه أن يطرق باب الكريم ويلوذ بجناب الرحيم.

---

١ . سورة هود الآية (١٠١)

المبحث الرابع

الدعاء كما ورد في القرآن الكريم

إن المتأمل في الأدعية التي وردت في القرآن يجد أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول:الأدعية التي وردت على لسان الأنبياء.

الثاني:الأدعية التي وردت على لسان غير الأنبياء.

الثالث:الأدعية التي لقنها الله لبعض خلقه أنبياء كانوا أو غير أنبياء.

وسوف نتناول هذه الأدعية بشيء من الشرح مع أخذ العبرة منها سائرين في هذا المنهج أن يكون تناولنا لأدعية الأنبياء حسب الزمن لا حسب ورود الآية في القرآن، وفي القسم الثاني حسب ورود الآية في القرآن ترتيبا مصحفيا مع مراعاة أنه لو تكرر الدعاء نكتفي بالإشارة إليه وأنه قد سبق التعليق عليه، وأما القسم الثالث فسوف نتناوله حسب وروده في المصحف.

القسم الأول

الأدعية التي وردت على لسان الأنبياء

دعاء آدم عليه السلام.

آدم عليه السلام أبو البشر أول من خلقه الله من البشر وكرمه بان خلقه بيده ثم نفخ فيه من روحه ، وعلمه أسماء المسميات ، ثم أسجد له ملائكته، وقصة خلقه مبثوثة في كثير من سور القرآن الكريم أمره الله تعالى أن يأكل من الجنة هو وزوجه حواء الا من شجرة منها . ولكنه لم يلتزم أمر الله في ذلك بسبب إغواء الشيطان الذي قاسمه أنه له من الناصحين فأكلا منها ثم أدرك أنه خالف أمر ربه الذي نهاه عن الأكل منها فراح يلجأ إلى الله بهذه التوبة وبهذا الدعاء كما حكى الله عنهما قائلا ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١)

فهذا اعتراف ورجوع إلى الإنابة وتذلل وخضوع واستكانة ، وافتقار إليه تعالى في الساعة الراهنة،وهذا السر ما سرى في أحد من ذريته إلا كانت عاقبته إلى خير في دنياه وأخراه. (٢)

وبعيدا عن قصة خلق آدم عليه السلام،وعن اسم الشجرة التي نهي عن الأكل منها وعن طريقة إغواء إبليس له فذلك مفصل في كتب التفسير لكن الذي يهمنا في هذا المقام أن آدم عليه السلام أدرك هذه المخالفة لأمر ربه فرجع إليه وهذا ما يطلب من العبد دائما اذا عصي ربه أن يرجع إليه وأن يعلم أنه إذا لم يغفر له ذنبه سيكون من الخاسرين في الدنيا والآخرة فلا يغتر بدنياه حين تزهو له قليلا وقت المعصية فإنها

(١) سورة الأعراف آية ٢٣

(٢) قصص الأنبياء [illegible]

لحظات قليلة سرعان ما تنقضي لكن العاقبة وخيمة، فهذا آدم عليه السلام حين علم هذه المخالفة لأمر ربه رجع إليه هو وزوجه قائلين﴿رَبَّنَا﴾ وهو أدعي للإجابة ﴿ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾أي بمخالفة أمرك ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾ وقدما المغفرة على الرحمة لأن المغفرة محو الذنب، والرحمة السداد في الأقوال والأعمال﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾وأكدوا الكلام باللام ونون التوكيد الثقيلة لإفادة أن هذا الخسران محقق، لكن رحمة الله تعالى أوسع من ذنب أي إنسان إن هو رجع إليه وتاب إليه، و قال تعالى﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ. قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾(١)

فهذا درس أراد الله للأمة أن تتعلمه من خلال ذكر هذا القصص في القرآن ـ فالقصص القرآني تربوي من الدرجة الأولى ـــ أن العبد إذا عصي الله عليه أن يرجع إليه، وأن يدعوه بهذا الدعاء حتى تكون المغفرة والرحمة .

كما حكي القرآن أيضا من دعاء آدم عليه السلام قال تعالى﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٢)

من المفسرين من ذهب إلى أنه قد ذكر آدم أولا ثم استطرد إلى ذكر الجنس من بني آدم فضمير ﴿جَعَلَا ،آتَاهُمَا﴾ يعود على النفس من ولد آدم وزوجها ، لا إلى آدم وحواء ويكون المعنى:﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أي خلق كل واحد منكم من نفس واحدة ، وخلق لكل نفس زوجا من جنسها ، فلما تغشي

(١) سورة طه الآيات (١٢١، ١٢٣).

(٢) سورة الأعراف الآيتان (١٨٩، ١٩٠).

كل نفس زوجها حملت حملا خفيفا وهو ماء الفحل ، فلما أثقلت بمصير ذلك الماء لحما ودما وعظما﴿دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ أي: دعا الرجل والمرأة ربهما ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾ أي ذكرا سويا﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ وكانت عادتهم أن يئدوا البنات﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا﴾أي فلما أعطاهما أي الأب والأم ما سألاه ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾ فسميا عبد العزي وعبد اللات وغير ذلك ، ثم رجعت الكناية في قوله سبحانه ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾إلى الجميع ولا تعلق للآية بآدم وحواء، واختار هذا القول ابن المنير في حاشيته([1]).

وجعل جماعة من السلف كابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن المسيب الضمير في قوله جعلا لآدم وحواء ونسبة الشرك إليهما غير المتبادر([2]).

وسواء أقلنا بأن الضمير راجع إلى آدم وزوجه أم راجع إلى ذريتهما وهو الأولى للقول بعصمة الأنبياء من الشرك فإن المستفاد من الآية أن الإنسان إذا وهبه الله ذرية عليه أن يشكر الله عليها وأن يدعو لها بالصلاح الديني، وأن يسأل الله دائما الذرية الصالحة مع دوام شكر الله عليها قال تعالى﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾([3]).

دعاء نوح عليه السلام:

ذكر الله قصة نوح وما كان من قومه ، وما أنزله الله بمن كفر به من العذاب بالطوفان، وكيف أنجاه وأصحاب السفينة في غير ما موضع من كتابه العزيز، ففي الأعراف، ويونس، وهود ، والأنبياء، والمؤمنون، والشعراء، والعنكبوت، والصافات، والقمر، وأنزل فيه سورة كاملة سورة نوح.

---

(١) الانتصاف لابن المنير بهامش الكشاف (١٣٦/٢).

(٢) روح المعاني(٢٠٤/٩).

(٣) سورة إبراهيم من الآية (٧) .

ولقد حكي القرآن عن نوح أنه دعا قومه إلى عبادة الله وكانوا يعبدون الأصنام فاجتهد في دعوتهم إلى الله بالترغيب تارة، والترهيب أخري، وسلك معهم كل السبل وبالغ في دعوتهم في الليل وفي النهار، وفي السر وفي الإعلان قال تعالى﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا . فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾([1]) وقال﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا . ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾([2])

ولكن القوم كانوا معاندين مصرين على الكفر لم تفد فيهم دعوة نوح رغبة أو رهبة مع تطاول الزمن والمدة بينه وبينهم قال تعالى﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾([3])

، ولكن مع هذه المدة الطويلة ما آمن به إلا القليل، ولما يأس نوح من إيمانهم بدأ يدعو عليهم بعد وحي الله له أنهم لن يؤمنوا قال تعالى﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾([4])

ولقد سجل القرآن هذا الدعاء قال تعالى﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ . وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾([5])، وقال﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾([6])، وقال أيضا ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ . فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾([7])، وقال﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾([8])، وقال﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾([9])، وقال﴿وَقَالَ نُوحٌ

---

(١) سورة نوح الآيتان(٥، ٦).

(٢) سورة نوح الآيتان(٨، ٩).

(٣) سورة العنكبوت من الآية (١٤).

(٤) سورة هود الآية (٣٦).

(٥) سورة الصافات الآيتان(٧٥، ٧٦).

(٦) سورة الأنبياء الآية (٧٦).

(٧) سورة الشعراء الآيتان (١١٧، ١١٨).

(٨) سورة القمر الآية (١٠).

(٩) سورة المؤمنون الآية (٢٦).

رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا . إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾(١)

ودعاء نوح عليه السلام في هذه الآيات يشتمل على الدعوة على قومه بالهلاك لتكذيبهم وإضلال غيرهم وعدم رجاء النفع منهم بإعلام الله له عدم إيمانهم، وكذلك الدعاء بطلب النصرة والنجاة منهم وقد حقق الله هذين الدعائين له عليه السلام وكانت سرعة الاستجابة كما تصورها الآيات في قوله ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾، فاللام واقعة في جواب قسم محذوف أي والله لقد نادانا فلنعم، والجمع في ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ للعظمة والكبرياء وفيه من تعظيم الإجابة ما فيه، وكما يدل عليه أيضا التعبير بالفاء التي تدل على التعقيب والسرعة في قوله ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ وفي قوله ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ . وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾(٢)

وهكذا يكون نصر الله لأنبيائه وأوليائه حين يلجئون إليه لا بد أن يستجيب لهم لكنهم لا يغفلون هذا الباب ويعتمدون على قوهم وأسباهم.

وكان دعاء نوح عليه السلام استجابة لأمر ربه له بالدعاء حيث قال له ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾(٣)، وامتثل نوح عليه السلام لهذه الوصية، وقال ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(٤) ولذلك نجاه الله تعالى ومن آمن معه.

---

(١) سورة نوح الآيتان(٢٦، ٢٧).

(٢) سورة القمر الآيتان(١١، ١٢).

(٣) سورة المؤمنون الآيتان (٢٨، ٢٩).

(٤) سورة هود الآية(٤١).

كما حكي القرآن عن مناشدة نوح عليه السلام لربه في نجاة ولده قائلا ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾(١) حيث إن نوحا عليه السلام فهم العموم من لفظ (أهلك) في قوله ﴿مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾(٢) لكن الله أجابه بأن هذا الولد ليس من أهله وإن أهله هم الصالحون فقط دون غيرهم ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾(٣) فانساق نوح لأمر ربه واعتذر إليه فقبل الله عذره ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٤)، وأمره قائلا ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٥)

ـ ومن الأدعية التي دعا بها نوح عليه السلام أيضا قوله ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾(٦)

ودعاؤه عليه السلام لوالديه يدل على أنهما كانا مؤمنين، ومعنى ولمن دخل بيتي يعني سفينتي،أو مسجدي ،أو مترلي، ثم دعا للمؤمنين والمؤمنات، وكان الدعاء في النهاية على الظالمين قائلا أي:هلاكا.(٧)

---

(١) سورة هود من الآية(٤٥).

(٢) سورة هود من الآية (٤٠).

(٣) سورة هود الآية (٤٦).

(٤) سورة هود الآيتان(٤٧).

(٥) سورة هود الآية(٤٨).

(٦) سورة نوح الآية(٢٨).

(٧) أنوار التتريل(٣٩٦/٥).

وإنما وصفهم بالظلم لتسجيله عليهم بعد وصفهم بالكفر في الآيات السابقة وكأنهم إنما استحقوا هذا الدعاء عليهم بالهلاك لكفرهم وظلمهم، وفيه لفتة أن الكفر ظلم لأنه وضع للشئ في غير موضعه قال تعالى ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[١]

دعاء هود وصالح ــ عليهما السلام ــ:

يحكى القرآن في سياق قصة هود عليه السلام في سورة المؤمنون دعاء في قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ. قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ. فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٢]

ومن هذا السياق يتبين أن الآية في شأن هود عليه السلام مع قومه، لكن زعم آخرون أن المراد بهم هم ثمود لقوله ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾، وقوم صالح عليه السلام هم الذين أهلكوا بالصيحة ، وأما قوم عاد فقد أهلكوا بالريح كما قال تعالى ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾[٣]، وعلى هذا القول يكون هذا دعاء صالح عليه السلام ، ولكن رجح ابن كثير أن المراد بهؤلاء القوم هم قوم هود قائلا: وما قالوه ــ يعنى من قالوا إنهم قوم صالح عليه السلام ــ لا يمنع من اجتماع الصيحة والريح عليهم[٤].

ومعنى هذا الدعاء سواء أكان على لسان هود عليه السلام أم على لسان صالح عليه السلام أنه دعاء بالنصر على الأعداء علم هذا النبي أنه لا ناصر له إلا الله تعالى فتوجه إليه ذاكرا ما يدعو إلى طلب النصر وهو التكذيب من قومه فالباء في قوله ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ للسببية أي بسبب تكذيبهم إياي؛ ولذلك جاء الجواب سريعا معقبا على

(١) سورة لقمان من الآية (١٣).

(٢) سورة المؤمنون الآيات (٣٩، ٤١).

(٣) سورة الحاقة الآية (٦).

(٤) قصص الأنبياء لابن كثير(٩٠).

التكذيب بقوله ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ بالفاء التي تدل على التعقيب، ولا مانع أن يكون هذا الدعاء قد صدر من هذين النبيين معا ،أو أن الأرجح أنه صدر من صالح عليه السلام لترتيب العقاب في الآيات بالصيحة ومن المعروف أن قوم عاد أهلكوا بالريح لورود ذلك الإهلاك في غير ما موضع من القرآن أنه كان عن طريق الريح، ويؤيده قوله: (نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور)[١].

لكن يستفاد من هذا الدعاء أن المسلم في مقام الخوف والتكذيب من الأعداء لابد أن يسأل الله النصرة على عدوه فالله هو الذي يملك النصر ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾[٢]

دعاء إبراهيم وإسماعيل ــ عليهما السلام ــ:

بعث إبراهيم عليه السلام في قوم يعبدون الأصنام فدعاهم إلى عبادة الله وحده وترك ما هم عليه فأبوا ذلك، وكان أبوه ممن يعبدها فدعاه إلى عبادة الله ولكنه أبي وتوعده بالرجم ، لكن إبراهيم عليه السلام لم يكتف بتلك الدعوة وإنما قام بتحطيم تلك الأصنام فقاموا بوضعه في النار لكن الله نجاه منها فتوجه إبراهيم عليه السلام بالدعاء إلى ربه قال تعالى ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ. وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ. وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ. وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ. وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ. يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٣]

والمراد بالحكم الكمال في العلم والعمل ، ومعنى قوله ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ أي وفقني للكمال في العمل لأنتظم به في عداد الصالحين الذين لا يشوب صلاحهم

(١) أخرجه البخاري ك:الاستسقاء، باب: يقول النبي ﷺ نصرت بالصبا ح ١٠٣٥(صحيح البخاري ٢٤٤).

(٢) سورة آل عمران من الآية (١٢٦).

(٣) سورة الشعراء الآيات (٨٣، ٨٩).

كبير ذنب ولا صغيره ، ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾أي:جاها وحسن صيت في الدنيا ويبقي أثره إلى يوم الدين ،أو المراد صادقا من ذريتي يجدد أصل ديني ويدعو الناس إلى ما كنت أدعوهم إليه ،ثم سأل الله أن يجعله من وراث الجنة في الآخرة ، ومعنى قوله﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي﴾إن حمل على أنه كان قبل موته فلا بأس، وأما إذا كان بعد موته فلعله كان لظنه أنه كان يخفي الإيمان تقية من النمرود ،أو لأنه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار قال تعالى﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾(١)

وقوله ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ . يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ وذلك بمعاتبتي على ما فرطت،أو بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث.(٢)

ـ ومن أدعيته أيضا أنه لما هاجر من بلاد قومه سأل ربه أن يهب له ولدا صالحا فبشره بغلام حليم هو إسماعيل قال تعالى﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ . رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ . فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾(٣)

ـ ومن أدعيته أيضا أنه لما أخذ إسماعيل عليه السلام وأمه إلى موضع البيت الحرام بمكة دعا بهذا الدعاء قال تعالى﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ ..الآيات(٤)

---

(١) سورة التوبة الآية (١١٤).

(٢) أنوار التنزيل(٤/٢٤٣، ٢٤٤).

(٣) سورة الصافات الآيات (٩٩، ١٠١).

(٤) سورة إبراهيم الآيات (٣٥، ٤١).

فبعد أن دعا لمكة أن تكون ذا أمن، وأن يجنبه الله عبادة الأصنام هو وبنيه معللا هذا الدعاء حيث قال﴿.. رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ. رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(١)

وتكرار النداء بلفظ (ربنا) رغبة في الإجابة والالتجاء إلى الله تعالى والتعرض لوصف الربوبية أدخل في القبول وإجابة المسئول.

والمراد بالوادي:وادي مكة وهو حينئذ لا زرع فيه ، ثم كرر النداء بقوله﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ لإظهار كمال العناية بالصلاة ، والمعنى لأن يقيموا الصلاة ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾أي:اجعل قلوبا من الناس تسرع إليهم من البلاد شوقا ، وما أجمل هذا التعبير بالهوى إذ ما من قلب من قلوب المسلمين إلا ويشتاق إلى حج بيت الله الحرام ، ثم سأل الله أن يرزقهم من الثمرات ، ثم شكر الله على نعمته بهبته إسماعيل وإسحاق عند الكبر(٢).

قال القاسمي:وإنما ذكر حال الكبر لأن المنة بهبة الولد فيها أعظم من حيث إنها حال وقوع اليأس من الولادة ،والظفر بالحاجة على عقب اليأس أجل النعم وأحلاها في نفس الظافر(٣).

ثم أقبل على الله تعالى بالدعاء قائلا:﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ. رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ واستغفاره لأبيه كما سبق لعله كان قبل علمه بعدم إيمانه ، وكانت أمه مؤمنة كما روي عن الحسن ، وقرئ شاذا ولولدي أي إسماعيل وإسحاق.(٤)

---

(١) سورة إبراهيم الآيتان (٣٥، ٣٦).

(٢) روح المعاني بتصرف(١٣/٣٣٦، ٣٥٣).

(٣) محاسن التأويل للقاسمي(٦/٣٣٠).

(٤) روح المعاني(١٣/٣٥٢).

— ومن أدعيته التي حكاها الله عنه قوله﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ...﴾(١)

قال الإمام الرازي:المراد من الآية دعاء إبراهيم للمؤمنين من سكان مكة بالأمن والتوسعة بما يجلب إلي مكة لأنها بلد لا زرع ولا غرس فيه فلولا الأمن لم يجلب إليها من النواحي وتعذر العيش فيها، ثم إن الله أجاب دعائه وجعله آمنا من الآفات فلم يصل إليه جبار إلا قصمه كما فعل بأصحاب الفيل.(٢)

ويقول القاسمي: في الآية تذكير للعرب بدعوة إبراهيم بجعله مكة حرما آمنا وقد استجاب الله لدعائه حيث قال﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ..الآية ﴾(٣)(٤)

وقال تعالى﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٥)

ثم يحكي الله دعاء إسماعيل عليه السلام الذي شارك فيه والده إبراهيم عليه السلام في قوله﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٦) فقد

(١) سورة البقرة الآيات(١٢٦، ١٢٩).
(٢)التفسير الكبير(٥٩/٢، ٦٠).
(٣) سورة العنكبوت من الآية (٦٧).
(٤) تفسير القاسمي(٤٤٤/١).
(٥) سورة القصص الآية (٥٧).
(٦) سورة البقرة الآيات (١٢٧، ١٢٩).

سأل الله تعالى أن يتقبل منهما عملهما وهو الرضا عن العمل والإثابة عليه ، وتذييل الدعاء بقوله ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ لنفي الرياء والسمعة في العمل يعني يا رب إنك سميع لدعائنا عليم بنياتنا.

ثم سأل الله أن يجعلهما مسلمين أي منقادين له وموحدين ومخلصين ،وأن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة له تعالى،وأن يريهما مناسكهما وهي أعمال الحج ،وأن يتوب عليهما أي يقبل التوبة منهما ، وقوله﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ تعليل للدعاء ومزيد استدعاء للإجابة.

ودعاؤهما الثالث:هو سؤال الله أن يبعث في الذرية أو في الأمة المسلمة رسولا منهم أي من أنفسهم ليكون أشفق عليهم ، والمراد به النبي محمد ﷺ ، وقد استجاب الله دعاء هذين النبيين الجليلين، وتحققت بعثة النبي الكريم ليتلو على هذه الأمة آيات القرآن والحكمة ويطهرهم من أرجاس الشرك وأنجاس الشك.(١)

دعاء لوط عليه السلام:

جاء لوط عليه السلام إلى قوم قد ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم ،وهي إتيان الذكران من العالمين ،فدعاهم لوط عليه السلام إلى عبادة الله وحده ونهاهم عن تعاطي هذه الفواحش والمنكرات ، لكنهم تمادوا في طغيانهم وغيهم واستمروا على فجورهم وكفرانهم فدعا لوط عليه السلام عليهم وأن ينصره الله عليهم، وقد سجل الله هذه القصة في أكثر من سورة من سور القرآن ، وسجل في أثناء القصة دعائه وهو النجاة من قومه، وينصره عليهم.

(١) روح المعاني بتصرف(٦٠٥/١، ٦٠٩).

قال تعالى ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ . رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ . فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾(١)، وقال ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾(٢)

ولوط عليه السلام ما دعا على قومه إلا عندما يأس من إيمانهم ، فسأل الله أن ينصره على القوم المفسدين ،فغار لغيرته وغضب لغضبه واستجاب لدعوته فأهلك قوم لوط المكذبين به والمعتدين على حدود الله ،وأمره الله أن يسير هو وأهله في آخر الليل حتى ينزل بهذه القرية العذاب قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ . مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾(٣) قلب جبريل عليه السلام قراهم وجعل عاليها سافلها،ثم أرسلت عليهم الحجارة .

دعاء شعيب عليه السلام:

بعث شعيب عليه السلام إلى أهل مدين وهي قرية من أرض معان من أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز قريبا من بحيرة قوم لوط ، وكانوا بعدهم بمدة قريبة(٤).

وكان أهل مدين كفارا يقطعون السبيل ويخيفون المارة ، ويعبدون الأيكة وهي شجرة من الأيك حولها غيضة ملتفة بها، وكانوا من أسوأ الناس معاملة يبخسون الكيل والميزان ، فدعاهم شعيب عليه السلام إلى عبادة الله وحده وترك ما هم عليه من الأفاعيل القبيحة من بخس الناس أشياءهم وإخافتهم لهم في سبلهم وطرقاتهم فآمن

(١) سورة الشعراء الآيات (١٦٩، ١٧١).
(٢) سورة العنكبوت الآية (٣٠).
(٣) سورة هود الآيتان (٨٢، ٨٣).
(٤) قصص الأنبياء (١٧٩).

به البعض وكفر به أكثرهم(١)،وسلك معهم شعيب عليه السلام طرق اللطف في الدعوة تارة، والترهيب تارة أخري لكن القوم أصروا على عنادهم وكفرهم حتى استفتح عليهم بهذا الدعاء ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾(٢)

وذلك لما رأي إعراضهم وعتوهم ودعوته إلى ملتهم رفض هذه العودة ولجأ إلى الله بهذا الدعاء لفصل ما بينه وبينهم بما يليق بحال كل من الفريقين ،ومعنى قوله ﴿افتح﴾ أي احكم بيننا بالحق،والفتاحة الحكومة أو القضاء.

لكن القوم صمموا على ما هم عليه قال تعالى ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾(٣)،ولذلك جاءهم العقاب قال تعالى ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾(٤)

ويلاحظ في هلاك هذه الأمم أن الهلاك يأتيهم سريعا عقب الدعاء من غير فاصل وذلك من خلال التعبير بحرف العطف الفاء التي تدل على التعقيب وفيه من سرعة الإجابة لمن لجأ إلى الله حين الضعف والهوان ما فيه فليعتبر بذلك أولو الألباب.

دعاء يوسف عليه السلام:

يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام أنزل الله سورة كاملة في قصته سميت باسمه وهي واضحة لتفصيلها أحداث تلك القصة وقد حكي الله فيها من دعائه عليه السلام دعائين:

(١) المرجع السابق(١٨٠، ١٨١).
(٢) سورة الأعراف من الآية (٨٩).
(٣) سورة الأعراف الآية (٩٠).
(٤) سورة الأعراف الآية (٩١).

الأول: قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾(١)

عندما راودته امرأة العزيز عن نفسه فأبى ذلك وأيده الله بشهادة الشاهد من أهلها ولكن الخبر تناقل وتحدث به النسوة في المدينة فجمعتهن فلما رأينه عذرها في مراودها قال تعالى ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾(٢)

وهذا التهديد تبعه دعاء يوسف عليه السلام إلى ربه قال يا رب السجن الذي توعدتني بالإلقاء فيه أحب إليّ لأن فيه مشقة قليلة نافذة إثرها راحات كثيرة أبدية. ﴿مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ من مواتاها التي تؤدي إلى الشقاوة والعذاب الأليم، وصيغة التفضيل ﴿أَحَبُّ﴾ ليست على باها ؛إذا ليس له محبة لما يدعونه إليه وإنما هو والسجن شران أقربهما وأهونهما السجن.

وقوله ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ يعنى إن وكلتني إلى نفسي،فليس لي من نفسي إلا العجز والضعف ، ولا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله.

﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ومعنى أصب أي أميل إليهن،وأكن من الجاهلين يعنى من الذين لا يعملون بما يعلمون،أو من السفهاء.

فيوسف عليه السلام لجأ إلى الله عند نزول هذا الابتلاء وسأله أن يصرف عنه كيد النساء وهو من أعظم الكيد وكانت استجابة الله رهن دعوته قال تعالى

---

(١) سورة يوسف الآية (٣٣).

(٢) سورة يوسف الآية (٣٢).

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(١) وذلك بأن ثبته على العصمة والعفة وحال بينه وبين المعصية(٢).

والثاني: من أدعية يوسف عليه السلام قوله تعالى ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾(٣)

يقول الشهيد سيد قطب: وقبل أن يسدل الستار على المشهد الأخير المشير، نشهد يوسف ينزع نفسه من اللقاء والعناق والفرحة والابتهاج والجاه والسلطان، والرغد والأمان ليتجه إلى ربه في تسبيح الشاكر الذاكر! كل دعوته وهو في أبهة السلطان، وفي فرحة تحقيق الأحلام أن يتوفاه ربه مسلماً وأن يلحقه بالصالحين(٤).

ويقول ابن كثير: ثم لما رأى يوسف عليه السلام نعمته قد تمت وشمله قد اجتمع عرف أن هذه الدار لا يقر بها قرار،وأن كل شيء فيها ومن عليها فان، وما بعد التمام إلا النقصان فعند ذلك أثنى على ربه بما هو أهله،واعترف له بعظيم إحسانه وفضله، وسأل منه — وهو خير المسئولين — أن يتوفاه أي حين يتوفاه على الإسلام ،وأن يلحقه بعباده الصالحين، وهذا كما يقال في الدعاء "اللهم أحينا مسلمين وتوفنا مسلمين" أي حين تتوفانا ، ويحتمل أنه سأل ذلك عند احتضاره ،أو سأل الوفاة على الإسلام منجزا في صحة بدنه وسلامته(٥).

---

(١) سورة يوسف الآية (٣٤).

(٢) روح المعاني بتصرف (١٢/٣٥٣، ٣٥٥).

(٣) سورة يوسف الآية (١٠١).

(٤) في ظلال القرآن (٤/٢٠٢٩).

(٥) قصص الأنبياء (٢٢٨).

وهكذا ينبغي للمسلم أن يتعلم من هذا النبي الكريم، وأن يدعو الله بما دعا به إن نزل به مثل هذا البلاء ،كما يدعوه أن يتوفاه على الإسلام وأن يلحقه بركب الصالحين الذين لا يشقي بهم جليس.

دعاء أيوب عليه السلام:

ذكر علماء التفسير والتاريخ وغيرهم أن أيوب عليه السلام كان رجلا كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه من الأنعام والعبيد والمواشي ، وكان له أهلون كثيرون ،فسلب منه ذلك جميعه وابتلي في جسده بأنواع من البلاء وهو في ذلك كله صابر محتسب ذاكر لله في ليله ونهاره وصباحه ومسائه، وطال مرضه ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته حتى لجأ إلى الله بهذا الدعاء كما ذكره الله تعالى﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(١) والمراد بالضر ـ بالفتح ـ شائع في كل ضرر، وبالضم خاص بما في النفس كمرض وهزال،﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمين﴾ وصف لله بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها ، واكتفي بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال.(٢)

هذا نبي ابتلي بلاء عظيما من ذهاب أولاده وماله ثم ابتلي في جسده بالمرض لكنه صبر على قضاء الله وقدره ، وحينما يتوجه إلى الله بالدعاء يتوجه بأدب العابد الخاضع الراضي غير المعترض على أمر الله فلا يقول يا رب اشفني، وإنما يقول:رب إني مسني الضر مجرد مس وأنت أرحم الراحمين ومن رحمتك أن تنظر إلى حالي فتقدر ما تراه خيرا ، وهكذا الأدب مع الله تعالى ، وفي سورة ص يقول﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا

(١) سورة الأنبياء الآية (٨٣).

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (١٠٤/٤).

أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾(١) فأسند المس إلى الشيطان من قبيل الأدب مع الله كما قاله بعض المفسرين.

ولذلك كانت الاستجابة لدعائه عقب هذا الدعاء قال تعالى ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾(٢)

فكان الشفاء من المرض، وأحيي له أولاده ،أو ولد له ضعف ما كان ،كل ذلك رحمة من عند الله وتذكرة لغيره من العابدين ، وفي سورة ص قال تعالى﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾(٣)

ثم رخص الله في بر يمينه وقد حلف على زوجته لئن شفاه الله ليضربنها مائة ضربة ، وقد تأخرت عنه حيث ذهبت لحاجة لها بأن يأخذ حزمة صغيرة من الحشيش ونحوه(٤)

قال تعالى﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾(٥)

وهكذا ينبغي للعبد المسلم أن يتعلم هذا الدعاء من نبي الله أيوب إذا نزل به بلاء في نفسه أو ماله أو ولده فإن الذي يكشف البلوى هو الله تعالى لا غيره مع لزوم الصبر.

(١) سورة ص الآية (٤١).

(٢) سورة الأنبياء الآية (٨٤).

(٣) سورة ص الآية (٤٣).

(٤) أنوار التنزيل (٤٩/٥).

(٥) سورة ص الآية (٤٤).

دعاءِ يونس عليه السلام:

بعث الله يونس عليه السلام إلى أهل نينوى من أرض الموصل فدعاهم إلى الله تعالى ، ولكنهم كذبوه وتمردوا على كفرهم وعنادهم ، فلما طال ذلك عليه من أمرهم خرج من بين أظهرهم ، ووعدهم حلول العذاب بعد ثلاث ،إلا أنهم ندموا على ما كان منهم وتابوا إلى الله تعالى فقبل الله توبتهم ، ورفع عنهم العذاب .

وذهب يونس عليه السلام مغاضبا بسبب قومه ، وركب سفينة في البحر فلجت بهم واضطربت، وماجت بهم وثقلت بما فيها ، وكادوا يغرقون حتى اشتوروا فيما بينهم على أن يقترعوا فمن وقعت عليه القرعة ألقوه من السفينة، فوقعت القرعة على نبي الله يونس عليه السلام فألقي في البحر ليخف حمل السفينة ، فبعث الله حوتا عظيما فالتقمه وهو ملام على ترك قومه كما قال تعالى

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ . فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ . فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾(١)

وعندئذ لجأ يونس عليه السلام بهذا الدعاء إلى الله تعالى ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾(٢)، وفي الدعاء اعتراف لله بالوحدانية ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾،والثناء على الله في قوله ﴿سُبْحَانَكَ﴾، مع الاعتراف بالذنب في قوله﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، ولذلك جاءت الاستجابة

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣)

(١) سورة الصافات الآيات (١٣٩، ١٤٢).

(٢) سورة الأنبياء من الآية (٨٧).

(٣) سورة الأنبياء الآية (٨٨).

وكذلك هو مقام اللطيف الخبير الذي يعلم السر وما هو أخفي منه سمع نداء يونس وهو في بطن الحوت كما قال ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ...﴾(١) ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل ، ثم إن الاستجابة ليست خاصة به عليه السلام فقط وإنما هي عامة لقوله ﴿ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾أي: ومثل إنجاءنا ليونس ننجي المؤمنين يعني إن لجئوا إلينا معترفين بالوحدانية ومعترفين بذنبهم ،فما أجمل العبد أن يعترف لله بالوحدانية ويعترف بالتقصير والذنب مع التذلل إليه تعالى في وقت من أوقات الإجابة مراعيا الآداب التي تقدم ذكرها فيكشف الله عنه البلاء .

أخرج الترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له)(٢)

دعاء موسي عليه السلام:

موسى عليه السلام من أولى العزم الخمسة من الرسل وهو كليم الله تعالى، وقد حكي الله في القرآن من دعائه ما يلي:

قوله تعالى﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾(٣) وهذا الدعاء دعا به عندما قتل القبطي ــ وهو أحد سكان مصر قبل فتح الإسلام لها ــ عندما استغاثه الإسرائيلي عليه فوكزه موسي عليه السلام بجمع كفه وكان موسي عليه السلام قويا،

(١) سورة الأنبياء من الآية (٨٧).

(٢) أخرجه الترمذي ك:الدعوات ح ٣٥١٤(سنن الترمذي٩٧١)، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٤٤٣/٣).

(٣) سورة القصص الآيتان (١٦، ١٧).

ولكنه لم يرد قتله وإنما أراد زجره وردعه ولكنها إرادة الله تعالى فتوجه موسي عليه السلام إلى الله تعالى بهذا الدعاء يا رب إني ظلمت نفسي بقتلي لهذا الرجل فاغفر لي هذا الذنب، وكانت استجابة الله له﴿ فَغَفَرَ لَهُ ﴾، وجملة ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ جملة تعليلية لما قبلها وفيها من المبالغة ما فيها،ثم قال﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾يعني من العز والجاه﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ أي معينا لهم.

وهكذا ينبغي أن يتعلم المسلم من سيرة هذا النبي الكريم إذا أذنب ذنبا وأدرك ذنبه عليه أن يتوب منه ويلجأ إلى ربه بهذا الدعاء متوجها إليه بطلب المغفرة ؛لأنه يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا الله ،مع أخذ العهد مع الله أن لا يعين المغتدين المجرمين.

ـ ومن أدعيته عليه السلام عندما خرج خائفا من مصر بعد علم فرعون بأن القاتل لهذا المقتول هو موسي أرسل في طلبه فجاء إلى موسي عليه السلام رجل يخبره بما يدبره له القوم قال تعالى﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ . فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(١)

فدعا بهذا الدعاء﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ طلب النجاة من ربه، وهكذا ينبغي أن يحذو المسلم حذوه إذا وقع في شدة أو كرب ،أو طلب أن يدعو بهذا الدعاء، ونجاه الله من فرعون وقومه وكان من أمره ما كان مما حكاه الله عنه في أكثر من سورة من سور القرآن.

ـ ومن أدعيته عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي . وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي . وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي . يَفْقَهُوا قَوْلِي . وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي . هَارُونَ أَخِي . اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي . وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي . كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا . وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا . إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا . قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾(٢)

(١) سورة القصص الآيتان (٢١،٢٠).

(٢) سورة طه الآيات (٢٥، ٣٦).

هذا الدعاء دعا به عليه السلام لما أمره الله أن يذهب إلى فرعون ويدعوه إلى عبادة الله تعالى فقد طغي وتجاوز الحد في الطغيان حيث ادعي الإلوهية والربوبية، فسأل موسي عليه السلام ربه أن يشرح صدره لأنه عرف أنه كلف أمرا عظيما يحتاج إلى احتمال ما لا يحتمله إلا ذو جأش رابط وصدر فسيح ، فسأل ربه أن يشرح صدره ليحتمل ما يرد عليه من الشدائد التي يضيق لها الصدر ، وأن يسهل عليه أمره ، وأن يحلل عقدة لسانه ، وهذه العقدة التي كانت بلسانه قيل إنها كانت بسبب الجمرة التي أدخلها فاه تصديقا لآسية امرأة فرعون ، وقيل لغير ذلك.

كما طلب من الله أن يعينه بمعين من أهله وهو هارون أخوه فهو يعلم عنه فصاحة اللسان وثبات الجنان وهدوء الأعصاب، وكان موسي عليه السلام انفعاليا حاد الطباع سريع الانفعال فطلب إلى ربه أن يعينه بأخيه يشد أزره ويقويه (١).

وعلل موسي عليه السلام طلبه هذا كله بقوله﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴾ فأجاب الله طلبه بقوله﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ يعنى قد أجبناك إلى جميع ما سألت ،وأعطيناك الذي طلبت.

ـ ومن أدعيته عليه السلام أن الله لما ابتلي فرعون وقومه بالآيات من الطوفان والجراد والقمل سألوا موسي ان يدعو الله لهم ليكشف عنهم هذا البلاء ، وعاهدوه لئن كشف عنهم هذه البلاءات ليؤمنن به فدعا الله لهم فكشفت عنهم لكنهم رجعوا إلى ما هم عليه من الكفر والعناد قال تعالى ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ . فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾(٢)

(١) البحر المحيط لأبي حيان (٣٢٧/٧)، أنوار التنزيل (٤٧/٤).

(٢) سورة الأعراف الآيتان(١٣٤، ١٣٥).

— ومن أدعيته عليه السلام ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾(١)

وهذه دعوة عظيمة دعا بها نبي الله موسي الكليم على فرعون وقومه غضبا لله لتكبر فرعون عن اتباع الحق، وصده عن سبيل الله فقال موسي: يا رب ﴿إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ﴾ وهم قومه ﴿زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ أي يغتر بهذه الأموال من يعظم أمر الدنيا، فيحسب بسبب ذلك أنهم على شيء، ثم دعا موسي قائلا ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ أي أهلكها ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي اطبع عليها فلا يدخل الإيمان فيها، واستجاب الله دعوة نبيه وكليمه عليه السلام فقال له ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢)

واللام في قوله ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ قيل هي لام كي، وقيل لام العاقبة أي: فيصير عاقبة أمرهم الضلال.(٣)

ودعاؤه عليه السلام بإهلاك الأموال لأنه ينشأ عنها إضلال الناس عن سبيل الله سببها إما بالإغراء الذي يحدثه مظهر النعمة في نفوس الآخرين، وإما بالقوة التي يمنحها المال لأصحابه فيجعلهم قادرين على إذلال الآخرين أو إغوائهم، وهو بذلك يطلب تجريد القوة الباغية من وسائل البغي والإغراء.(٤)

---

(١) سورة يونس الآية (٨٨).

(٢) سورة يونس الآية (٨٩).

(٣) معالم التنزيل للبغوي(٣/١٠٥) ط دار الفكر أولى ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠٢م.

(٤) في ظلال القرآن(٣/١٨١٧)

— ومن أدعيته أيضا قوله ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(١)

وقد دعا به لما أقبل على قومه فوجدهم قد عبدوا العجل فعنفهم ووبخهم وأقبل على أخيه هارون يعاتبه ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا . أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾(٢)، فقال له هارون ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾(٣)

فلجأ موسي عليه السلام إلى الله بهذا الدعاء بطلب المغفرة من الله والدخول في رحمته تعالى.

— ومن أدعيته أيضا ما ورد في قوله تعالى ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾(٤)

عندما اختار موسي عليه السلام السبعين من علماء بني إسرائيل ذهبوا ليعتذروا عن عبادة بني إسرائيل للعجل فتوجه موسي عليه السلام بهذا الدعاء إلى الله، وفي قوله ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾ تسليم مطلق للقدرة المطلقة يقدمه بين يدي دعائه لربه، ثم يطلب منه على سبيل الاستفهام الاستبعادي ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾، يطلب منه عدم هلاكهم بسبب فعل هؤلاء السفهاء الذين عبدوا العجل،

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٥١).

(٢) سورة طه الآيتان(٩٢، ٩٣).

(٣) سورة طه من الآية (٩٤).

(٤) سورة الأعراف الآيتان (١٥٥، ١٥٦).

وقوله﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي اختبارك وامتحانك ، ثم يدعو الله قائلا﴿ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ أي رجعنا إليك وتبنا إليك.

وهكذا قدم موسى عليه السلام لطلب المغفرة والرحمة بالتسليم لله والاعتراف بحكمة ابتلائه ، وختم بإعلان الرجعة إلى الله والالتجاء إلى رحابه.([1])

وفيه من أدب الدعاء ما فيه،واعتراف من العبد بحاجته لمغفرة ربه ورحمته.

دعاء سليمان عليه السلام:

ذكر الله من دعاء سليمان عليه السلام قوله﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾([2])

ومعنى أوزعني:أي ألهمني وأرشدني، أو اجمعني كلي بمشاعري وجوارحي ، وهو طلب من الله أن يلهمه شكر نعمته وما خصه به من النعم ،أو أن ييسر له العمل الصالح لأنه بتوفيق من الله تعالى ، وأن يحشره إذا توفاه مع عباده الصالحين، فهو يعلم أن الدخول في عداد الصالحين رحمة من الله تتدارك العبد فتوفقه للعمل الصالح.([3])

ومنه ينبغي أن يلزم العبد هذا الدعاء فكم من نعم لا تعد ولا تحصي أنعم بها الباري علينا نطلب منه أن يوفقنا لشكرها،وأن يوفقنا للعمل الصالح ويدخلنا عند وفاتنا في عباده الصالحين.

ــ ومن أدعيته أيضا ما حكاه في سورة ص قوله﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾([4])

---

(١) في ظلال القرآن بتصرف (١٣٧٧/٣).

(٢) سورة النمل من الآية (١٩).

(٣) قصص الأنبياء لابن كثير(٤٢٥)، في ظلال القرآن(٢٦٣٧/٥).

(٤) سورة ص الآية (٣٥).

فطلب من الله المغفرة، وأن يعطيه هبة ملكا لا ينبغي لأحد من بعده يعنى لا يكون لأحد من بعده ، يقول الشهيد سيد قطب:وأقرب تأويل لهذا الطلب من سليمان أنه لم يرد به أثرة ،وإنما أراد الاختصاص في صورة معجزة ،فقد أراد به النوع أراد به ملكا ذا خصوصية تميزه من كل ملك آخر يأتي بعده.([1]) ، وفي تقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد الاهتمام بأمر الدين، وتقديم ما يجعل للدعاء بصدد الإجابة([2]).

وقد استجاب الله له هذا الدعاء فسخر له الجن وسخر له الريح قال تعالى ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ . وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ . وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾([3])

أخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ(إن عفريتا من الجن تفلت علي البارحة – أو كلمة نحوها – ليقطع علي الصلاة فأمكنني الله منه فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾، قال روح فرده خاسئا([4])

دعاء زكريا عليه السلام:

حكي الله دعاء زكريا في ثلاث سور من القرآن الكريم وهي سورة مريم والأنبياء المكيتان ، وسورة آل عمران المدنية وكل بحسب سياقها ومضمون دعائه أنه سأل ربه أن يهب له ذرية تكون خلفا له .

---

(١) في ظلال القرآن (٣٠٢٠/٥).

(٢) أنوار التنزيل (٤٧/٥).

(٣) سورة ص الآيات (٣٦، ٣٨).

(٤) أخرجه البخاري ك:التفسير، سورة ص باب قوله﴿هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ح٤٥٣٠(صحيح البخاري١٨٠٩/٤).

وفي قوله﴿ خَفِيًّا﴾ إشارة إلى أن دعائه كان بصوت خفي ،والإخفاء والجهر عند الله سيان لكن الإخفاء أشد إخباتا وأكثر إخلاصا ،أو لئلا يلام على طلب الولد في إبان الكبر ،أو لئلا يطلع عليه أحد من مواليه الذين خافهم(١).

وهذا يدل على تأدبه مع ربه كما دل على تضرعه وإخباته في قوله﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾(٢).

فهذه الخصال التي ذكرت هي التي نالوا بها ما نالوا من الخير .

وقوله﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا. وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾

يعني: يا رب وهن عظمى وضعف، وشاب شعري،وأنت ما عودتني إلا الاستجابة بل كلما دعوتك استجبت لي ، وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة ،وإني خفت بنو عمي وكانوا أشرار بني إسرائيل بعد موتي ثم طلب من الله أن يهبه ولدا.والمراد بالوراثة وراثة الشرع والعلم فإن الأنبياء لا يورثون المال، وقيل: يرثني الحبورة فإنه كان حبرا، ويرث من آل يعقوب الملك.

وقوله﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾أي مرضيا عندك قولا وفعلا ،فهو دعاء بتوفيقه للعمل كما أن الأول متضمن لتوفيقه للعلم فكأنه طلب أن يكون ولده عالما عاملا(٣).

وهكذا يتعلم المسلم من هذا الدعاء أنه لا يقف أمام قدرة الله تعالى قيود أو حدود فإن حُرم نعمة الولد فليدع بهذا الدعاء فهذا زكريا عليه السلام قد بلغ من الكبر عتيا أي زمنا طويلا مع كون امرأته عاقرا إلا أن الله وهب له الولد.

---

(١) أنوار التتريل(٣/٤).

(٢) سورة الأنبياء من الآية (٩٠).

(٣) أنوار التتريل بتصرف (٣/٤، ٥).

ثم طلب زكريا عليه السلام من الله أن يجعل له علامة على تحقق هذا الحمل قائلا ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾(١)، وهكذا استجاب الله دعائه ووهبه يحيى عليه السلام.

دعاء عيسى عليه السلام:

عيسي عليه السلام من أولى العزم الخمسة من الرسل وقد حكي الله من دعائه في القرآن:

قوله﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾(٢)

أمر عيسي عليه السلام الحواريين بصيام ثلاثين يوما فلما أتموها طلبوا من عيسي أن يترل لهم مائدة من السماء ليأكلوا منها وتطمئن قلوبهم أن الله قد قبل صيامهم وأجابهم إلى طلبتهم ،فوعظهم عليه السلام ألا يقوموا بشكرها ، ولا يؤدوا حق شكرها لكنهم أبوا إلا أن يسأل ربه ذلك ، فدعا عيسي عليه السلام ربه أن يترل عليهم هذه المائدة ، وفي دعاء عيسي عليه السلام أدب العبد المجتبي مع إلهه ومعرفته بربه فهو يناديه:يا الله يا ربنا إنني أدعوك أن تترل علينا مائدة من السماء تعمنا بالخير والفرحة كالعيد فتكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا ،﴿وَآيَةً مِنْكَ﴾أي:معجزة منك ،﴿وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾(٣) واستجاب الله دعاء نبيه عيسي عليه السلام وأنزل عليهم المائدة معجزة له وتصديقا.

دعاء خاتم الأنبياء محمد ﷺ:

حين ننظر إلى ما ساقه الحق تبارك وتعالى في القرآن على لسان الأنبياء أو غيرهم من الدعاء ندرك أن المقصود تعليم هذه الأمة ، والربط على قلب النبي

---

(١) سورة آل عمران الآية (٤١).

(٢) سورة المائدة الآية(١١٤).

(٣) في ظلال القرآن(٢/١٠٠٠).

محمد ﷺ،واختلاف المواقف والمواطن والأدعية بحسب كل نبي فمنهم من يدعو لرفع البلاء عنه ، ومنهم من يدعو لنصر الله له على قومه ، والجميع يكاد يتفق على الدعاء بالمغفرة والرحمة والدخول في عداد الصالحين.

وقد حكي الله من دعاء نبيه ﷺ في القرآن بعض الأدعية منها:

قوله تعالى﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾(١)

روي أن أبا سفيان نادي عند انصرافه من أحد: يا محمد موعدنا موسم بدر القابل، فقال عليه السلام " إن شاء الله " فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة فألقى الله الرعب في قلبه فبدا له أن يرجع فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمراً فقال: يا نعيم إني واعدت محمداً أن نلتقي بموسم بدر وقد بدا لي أن أرجع فالحق بالمدينة ، فثبطهم ولك عندي عشرة من الإبل ، فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم: أتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم فو الله لا يفلت منكم أحد فقال ﷺ" والله لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد " فخرج في سبعين راكباً وهم يقولون(حسبنا الله ونعم الوكيل) حتى وافوا بدراً وأقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارة فباعوها وأصابوا خيراً ، ثم انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين ولم يكن قتال ، ورجع أبو سفيان إلى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا: إنما خرجتم لتأكلوا السويق(٢) .

والمراد بالناس الأولى نعيم بن مسعود الأشجعي، والناس الثانية أبو سفيان ومن معه وهو من العام الذي أريد به الخصوص، والدعاء الذي دعا به النبي هو قوله(حسبنا الله ونعم الوكيل).

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٧٣).

(٢) ذكره الثعلبي عن مجاهد وعكرمة(تفسير النسفي ١/٢٩١) ط دار النفائس ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

ومعنى حسبنا أي :كافينا، ونعم الوكيل أي :الموكول إليه والمفوض إليه الأمر(١).

وهكذا ينبغي للمسلم إذا خاف من بطش الظالمين أن يدعو بهذا الدعاء لأن الله عقبه بقوله﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾(٢)

ـ كما حكي الله تعالى عن نبيه ﷺ في غزوة بدر دعائه:

قال تعالى﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾(٣)

أخرج مسلم من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فمازال يهتف بربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه، وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ فأمده الله بالملائكة.(٤)

---

(١) محاسن للتأويل للقاسمي(٢/٥١٠).

(٢) سورة آل عمران من الآية (١٧٤).

(٣) سورة الأنفال الآية (٩).

(٤) أخرجه مسلم ك: الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم ح١٧٦٣(صحيح مسلم ١٢/٦٨، ٦٩).

والاستغاثة :طلب الغوث،وإنما أسند القرآن الاستغاثة إلى المؤمنين مع أن الدعاء كان من النبيﷺ لأنهم كانوا يؤمّنون على دعائه، وقيل جمع على سبيل التعظيم ،والأول هو المناسب لسياق الآيات([1]).

هذا بعض دعائهﷺ كما حكاه الله عنه في القرآن ،أما السنة فقد وضحت هذا الجانب من حياته ﷺ فقد كان في كل أفعاله وحركاته له أدعية وأذكار وقد قدمنا جانبا منها عند الحديث على آداب الدعاء.

---

(١) التفسير الوسيط (٤٦/٦).

القسم الثاني

الأدعية التي وردت على لسان غير الأنبياء

قد ذكرنا سابقا في تناولنا لتلك الأدعية أننا سنسير على الترتيب المصحفي في تناولها وهي كالتالي:

ـ قوله تعالى﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ .صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾([1])

وهذا الدعاء ورد في تعليم الله للعباد كيف يدعونه ويتضرعون إليه يدعو به المصلي كل يوم سبع عشرة مرة فضلا عن النوافل وقد ورد في الحديث القدسي يقول الله تعالى(قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل، إذا قال العبد﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾([2]) قال الله تعالى:حمدني عبدي، وإذا قال﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾([3]) قال الله تعالى:مجدني عبدي ،وإذا قال ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾([4]) قال الله تعالى:أثنى على عبدي،وإذا قال﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾([5])،قال الله تعالى:هذا بيني وبين عبدي ،وإذا قال﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ .صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾([6]) قال الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل([7]).

---

(١) سورة الفاتحة الآيتان(٦، ٧).

(٢) سورة الفاتحة الآية (٢).

(٣) سورة الفاتحة الآية (٣).

(٤) سورة الفاتحة الآية (٤).

(٥) سورة الفاتحة الآية (٥).

(٦) سورة الفاتحة الآيتان (٦، ٧).

(٧) أخرجه أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة ح٧٢٩٥(المسند٣٣/٣).

ففي هذه السورة الكريمة دعاء يدعو به العبد في كل ركعة في صلاته وهو طلب الهداية من الله ، وصيغة الأمر ﴿اهْدِنَا﴾ موضوعة لطلب الفعل مطلقا،لكنه من العلى أمر، ومن الأدنى دعاء ، ومن المساوي التماس، واللفظ في الأحوال كلها مستعمل في معناه الحقيقي، واعتبر أبو الحسين(١) في الأمر الاستعلاء ، وفي الدعاء التضرع ، وفي الالتماس عدمهما وهو أولى كذا قاله العلامة السيد الشريف(٢) في حاشيته على الكشاف(٣).

والهداية أنواع منها :الهداية بمعنى الدلالة والإرشاد ومنه قوله تعالى﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾(٤) أي:بينا له طريقي الخير والشر، وقوله﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾(٥)أي:أرشدناهم إلى طريق الخير والشر فاختاروا الثاني.

والهداية بمعنى المعونة والتوفيق للسير في طريق الخير والنجاة ، وهي التي أمرنا الله بدوام طلبها في قوله تعالى أي:دلنا دلالة تصحبها من لدنك معونة غيبية تحفظنا بها من الضلال والخطأ، وهذه الهداية خاصة به سبحانه لم يمنحها أحدا من خلقه ،

---

(١)أبو الحسين وهو : الحسين بن عبد الله البصري المعتزلى أبو عبد الله متكلم له مؤلفات كثيرة . معجم المؤلفين (٤/ ١٩) .

(٢)السيد الشريف : هو على بن محمد بن على الجرجاني الحسيني الحنفي ، ويعرف بالسيد الشريف (أبو الحسن) عالم مشارك في أنواع من العلوم ، ولد بجرجان سنة ٧٤٠هـ ، من تصانيفه : حاشية على شرح التنقيح للتفتازاني في الأصول ، وشرح التذكرة النصيرية في الهيئة ، وحاشية على تفسير البيضاوي ، وحاشية على المطول للتفتازاني في المعاني والبيان ، وغيرها ، توفي سنة ٨١٦هـ . بغية الوعاة (٣٥١) ، معجم المؤلفين (٧ / ٢١٦).

(٣) الكشاف(١/٦٧).

(٤) سورة البلد الآية(١٠).

(٥) سورة فصلت من الآية (١٧).

بل نفاها عن النبيﷺ في قوله﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(١)،وقوله ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ..﴾(٢)،وأثبتها لنفسه في قوله﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ...﴾(٣)(٤).

والصراط:الجادة والطريق،والمستقيم :المعتدل الذي لا اعوجاج فيه،والمراد بالذين أنعمت عليهم هم من ذكرهم الله في قوله﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾(٥)،والقرآن الكريم يفسر بعضه بعضا.

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم اليهود،﴿ وَلَا الضَّالِّينَ﴾وهم النصارى، وقد ورد في التفسير المنسوب إلى الرسول ﷺ، والمراد بالصراط المستقيم ما جاء به الإسلام من عقائد وآداب وأحكام توصل الناس متى اتبعوها إلى سعادة الدنيا والآخرة .

ومعنى هذا الدعاء: ألهمنا يا رب وأرشدنا إلى سلوك طريقك المستقيم الذي من سلكه نجا ومن ابتعد عنه هلك وخاب.

وفي هذا الدعاء أسمى ألوان الأدب لأن هذا الدعاء قد تضرع به المؤمنون إلى خالقهم بعد أن اعترفوا له سبحانه قبل ذلك بأنه المستحق لجميع المحامد وأنه رب العالمين المتصرف في أحوالهم يوم الدين(٦).

---

(١) سورة القصص الآية (٥٦).

(٢) سورة البقرة من الآية (٢٧٢).

(٣) سورة الأنعام من الآية (٩٠).

(٤) التفسير المنير(١/٦٠).

(٥) سورة النساء الآية (٦٩).

(٦) التفسير الوسيط (١/ ٢٣، ٢٤) ط نهضة مصر ط أولى ١٩٩٧م.

قال القرطبي:قال بعض العلماء: فجعل الله عزوجل عظم الدعاء وجملته موضوعا في هذه السورة ، نصفها فيه مجمع الثناء،ونصفها فيه مجمع الحاجات، وجعل الدعاء الذي في هذه السورة أفضل من الذي يدعو به الداعي لأن هذا الكلام قد تكلم به رب العالمين ، فأنت تدعو بدعاء هو كلامه الذي تكلم به.(١)

ـ قوله تعالى﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(٢)

هذه الآية وردت في سياق الحديث عن فريضة الحج ذهب بعض المفسرين ومنهم الإمام الرازي وأبو حيان إلى أن التفصيل المذكور في الآيات يعنى قوله﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾(٣) خاص بالحجاج المأمورين بالذكر بعد الفراغ من المناسك.

وذهب العلامة الألوسي:إلى أن التفصيل للذاكرين مطلقا حجاجا أو غيرهم لأنه المناسب للمقام لإبقاء الناس على عمومه ، وهو المطابق لما سيأتي من قوله﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..﴾(٤)، وإن كان سبب النزول يؤيد الثاني لكنه لا يقتضي التخصيص بالحجاج.

والآيات بينت أن الذاكرين لله على قسمين :مقل لا يطلب بذكر الله إلا الدنيا ، ومكثر يطلب خير الدارين، فالأول يقول﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾ يعنى:اجعل منحتنا في الدنيا ،﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾أي لا نصيب له فيها.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن(١٣٥/١) ط دار الفكر ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠٢م.

(٢) سورة البقرة الآية (٢٠١).

(٣) سورة البقرة من الآية(٢٠٠).

(٤) سورة البقرة من الآية (٢٠٤).

والثاني يقول﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وقد اختلف في معنى الحسنة فقيل:العافية والكفاف، وقيل المرأة الصالحة ، وقيل العلم والعبادة ، وقيل: المال الصالح،أو الأولاد الأبرار،أو ثناء الخلق، أو الصحة والكفاية والنصرة على الأعداء، والفهم في كتاب الله تعالى، أو صحبة الصالحين.

والظاهر:أن الحسنة وإن كانت نكرة في الإثبات إلا أنها مطلقة فتنصرف إلى الكامل، والحسنة الكاملة في الدنيا ما يشمل جميع حسناتها ، وهي توفيق الخير.

وكذا في قوله﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ قيل: الجنة، وقيل السلامة من هول الموقف وسوء الحساب، وقيل الحور العين..والظاهر الإطلاق وإرادة الكمال وهو الرحمة والإحسان ، ومعنى قوله﴿ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾أي:احفظنا منه بالعفو والمغفرة ،واجعلنا ممن يدخل الجنة بغير عذاب.(١) ، وقد كان هذا الدعاء أكثر دعاء يدعو به النبيﷺ فقد أخرج مسلم في صحيحه قال:سأل قتادة أنسا :أي دعوة كان يدعو بها النبيﷺ أكثر؟ قال:كان أكثر دعوة يدعو بها يقول:اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)(٢)

فمن هذه الآية يتعلم المسلم هذا الدعاء ويدعو به ويسأل الله الحسنة في الدنيا على عموم معناها وهو الخير المطلق،كما يسأله الحسنة في الآخرة ولا يكون ممن همهم الدنيا فقط وإنما همته إلى الآخرة، فالدنيا ممر إليها والآخرة خير من الدنيا وأبقي ،كما يسأله أن يقيه عذاب النار فلا طاقة لأحد بعذابها، وعليه أن يكثر من هذا الدعاء اقتداء بالمصطفيﷺ.

---

(١) روح المعاني بتصرف(١٣٥/٢، ١٣٦).

(٢) أخرجه البخاري ك: الدعوات ، باب: قول النبيﷺ ربنا آتنا في الدنيا حسنة ح ٦٣٨٩(فتح الباري٤٨٦/١٢)، وأخرجه مسلم ك:الذكر والدعاء والتوبة، باب: فضل الدعاء باللهم آتنا في الدنيا حسنة ح٢٦٩٠(صحيح مسلم ١٥/١٧).

ـ قوله تعالى﴿.. رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[1]

يصف الله عز وجل التقاء الحزبين حزب الإيمان متمثلا في طالوت وجنوده ، وحزب الشرك متمثلا في جالوت وجنوده ، فحال أهل الإيمان الافتقار إلى الله في تلك الساعة الحاسمة مع قلة عددهم وكثرة عدد عدوهم ، لكن أهل الإيمان يلجئون إلى الله بهذا الدعاء ﴿رَبَّنَا﴾ معترفين بالربوبية له تعالى﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ يعني على مقاساة شدائد الحرب واقتحام موارده الصعبة الضيقة ،﴿ وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ أي:جنبنا الفرار والعجز بتقوية قلوبنا وإلقاء الرعب في صدور عدونا﴿وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أي:أعنا عليهم واهزمهم ، ولذلك لما دعوا بهذا الدعاء كان النصر حليفهم في سرعة إجابة الحق لهم قال﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ..﴾[2][3]

يقول العلامة أبو السعود: وفي التوسل بوصف الربوبية المنبئ عن التبليغ إلى الكمال،وإيثار الإفراغ ﴿أَفْرِغْ﴾المعرب عن الكثرة، وتنكير الصبر﴿صَبْرًا﴾ المفصح عن التفخيم من الجزالة ما لا يخفي، ويقول:ولقد راعوا في الدعاء ترتيبا بديعا حيث قدموا سؤال إفراغ الصبر الذي هو ملاك الأمر، ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه، ثم سؤال النصر الذي هو الغاية القصوى.[4]

ويقول القاسمي:وهذه الآية تدل على أن من حزبه أمر فإنه ينبغي له سؤال المعونة من الله والتوفيق والانقطاع إليه تعالى.[5]

---

(١) سورة البقرة من الآية (٢٥٠).

(٢) سورة البقرة من الآية (٢٥١).

(٣) الأساس في التفسير لسعيد حوي بتصرف(١/٥٧٥، ٥٧٩).

(٤) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١/٤٢٧، ٤٢٨) ط دار الفكر١٤٢١هـ ـ٢٠٠١م.

(٥) محاسن التأويل(٢/٢٢٥).

فهذا الدعاء من أدعية القرآن التي وردت على ألسنة هؤلاء الصالحين الصابرين من عباد الله يعلم هذه الأمة أن يعلموا أن الحرب مع أهل الكفر لا تتوقف على عدد أو عدة إنما تتوقف على القرب من الله والافتقار إليه وقت هذه الشدة والتعلق بأسبابه من الإيمان به وطلب النصر منه وحده ، وعدم التعلق بالبشر مهما توهم قدرهم وقوهم فإنهم لا يملكون نصرا.

ـ قوله تعالى﴿.. وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[1]

بعد أن بين الله في الآية السابقة عنوان إيمان الرسول والمؤمنين معه بأركان الإيمان من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله بين أن من دعائهم هذا الدعاء﴿..وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ وهو حكاية لامتثالهم الأوامر إثر حكاية إيمانهم ، ومعنى قولهم

(غفرانك):أي اغفر غفرانك، أو نسألك غفرانك ذنوبنا المتقدمة ،أو ما لا يخلو عنه البشر من التقصير في مراعاة حقوقك.

وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران لما أن تقديم الوسيلة على المسئول أدعي إلى الإجابة والقبول، والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إليهم للمبالغة في التضرع والجؤار، وقولهم﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ أي الرجوع بالموت والبعث لا إلى غيرك، وهو تذييل مقرر للحاجة إلى المغفرة.[2]

---

(١) سورة البقرة الآيتان(٢٨٥، ٢٨٦).

(٢) تفسير أبي السعود(١/٤٨٠).

وبعد أن بين الله لطفه وعدله في قوله﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾أرشد عباده إلى سؤاله فعلمهم أن يقولوا﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي: لا تؤاخذنا إن تركنا فرضا أو أمرا على جهة السهو أو النسيان.﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ والإصر هو العبء يأصر صاحبه أي يحبسه في مكانه لثقله ، والمعنى:لا تكلفنا من الأعمال الشاقة كما شرعته للأمم الماضية قبلنا.﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾أي من التكاليف والمصائب والبلاء،﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ أي امح سيئاتنا، ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ أي:استر ذنوبنا فيما بيننا وبين عبادك فلا تظهرهم على مساوينا وأعمالنا القبيحة ،﴿وَارْحَمْنَا﴾أي بأن توفقنا فيما يستقبل فلا توقعنا بذنب آخر،﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾أي أنت ولينا وناصرنا.

﴿ فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ دعاء بالنصر على عامة الكفرة ، وفيه إشارة إلى أن إعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله تعالى غاية مطالبهم.(١)، وفي تقديم المؤمنين في صدر كل دعوة لفظ (ربنا) اعتراف منهم بربوبيته تعالى لهم وهو أدعي إلى الإجابة .

ـ قوله تعالى﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ . رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾(٢)

هذا الدعاء ورد على لسان الراسخين في العلم فهم أتقياء مخبتون لا تبرحهم خشية الله تعالى فهم دائما يبادرون بالدعاء إلى الله أن لا يزيغ قلوبهم يعنى لا يميلها أو يحرفها عن الهدي بعد أن أقامها عليه وهداها إليه ، وهم بوحي إيمانهم يعرفون أنهم لا يقدرون على شيء إلا بفضل الله ورحمته وأنهم لا يملكون قلوبهم فهي في يد

(١) تفسير أبي السعود(١/٤٨٥)، الأساس في التفسير(١/٦٧١).

(٢) سورة آل عمران الآيتان(٨، ٩).

الله فيتجهون إليه بالدعاء أن يمدهم بالعون والنجاة ، وأن لا يجعلهم كالذين في قلوبهم زيغ يتبعون بسببه المتشابه،كما يطلبون من الله أن يهبهم رحمة تسعهم في دنياهم وأخراهم مثنين على الله باسمه الوهاب.(١)

ومع هذا الطلب تظهر الآية الثانية كمال ما هم عليه من يقين بأحوال الآخرة ، يعنى يا ربنا إنك تجمع الناس في يوم لا شك فيه لتفصل بينهم وتجزي كلا بعمله من خير ومن شر ونحن نقر لك بذلك.

أخرج الترمذي عن شهر بن حوشب قال قلت لأم سلمة: يا أم المؤمنين ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك؟ قالت: كان أكثر دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قالت:قلت يا رسول الله :ما أكثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك؟ قال: يا أم سلمة إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام ، ومن شاء أزاغ(٢).

فالواجب على المسلم أن يدعو بهذا الدعاء ، وأن يلتصق بركن الله ،وأن يلوذ بحماه ويقول دائما يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك اقتداء بحبيبه ونبيه ﷺ.

ـ قوله تعالى﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(٣)

بعد أن بين الله في الآية السابقة على هذه الآية ما زين للناس من متاع الدنيا من النساء والبنين ...الخ وأمر نبيه ﷺ أن يخبرنا بما هو خير من هذه الزينة الزائلة وما أعده لعباده المتقين في الآخرة من الجنات والأزواج مع رضوان منه تعالى وصف الله عباده المتقين المؤمنين وصور حالهم مع ربهم الحال التي استحقوا عليها هذا

(١) ظلال القرآن(١/٣٧١).

(٢) أخرجه الترمذي ك: الدعوات، ح٣٥٣١(سنن الترمذي ٩٧٥).

(٣) سورة آل عمران الآية (١٦).

الرضوان وهي أنهم يقرون لله بالربوبية مع الإيمان به تعالى، ثم يدعونه أن يغفر لهم ذنوبهم وأن يقيهم عذاب النار، وفي دعائهم ما ينم عن تقواهم فهو إعلان للإيمان وشفاعة به عند الله وطلب للغفران وتوق من النيران[1].

وفي الآية تعليم للعبد أن يتأسي بهؤلاء المتقين في هذا الدعاء فمن غفر له ذنبه ووقي من عذاب النار فقد فاز فوزا ما بعده فوز قال تعالى﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[2]

ــ قوله تعالى﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[3]

ورد هذا الدعاء على لسان الحواريين الذين آمنوا بعيسي عليه السلام،وفي دعائهم اعتراف لله بالربوبية ، فهي من أعظم النعم التي أنعم بها على عباده ، ثم اعترافهم بالإيمان ، ثم اعترافهم بالتبعية لعيسي عليه السلام والإيمان والاتباع من الأمور اللازمة، والتي لا تقبل إلا متلازمة فلا يكفي الاعتقاد ، وإنما لابد أن يصحبه اتباع لمنهج الرسول الذي هو في الأصل متبع لمنهج الله ،لا اتباعا لذاته.

وفي الآية لفتة أخري وهي قوله﴿ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ فأي شهادة وأي شاهدين؟

إن المسلم المؤمن بدين الله مطلوب منه أن يؤدي شهادة لهذا الدين ، شهادة تؤيد حق هذا الدين في البقاء؛ وتؤيد الخير الذي يحمله هذا الدين للبشر، وهو لا يؤدي هذه الشهادة حتى يجعل من نفسه ومن خلقه ومن سلوكه ومن حياته صورة حية لهذا الدين ، صورة يراها الناس فيرون فيها مثلاً رفيعاً ، يشهد لهذا الدين

(١) في ظلال القرآن(١/٣٧٥).

(٢) سورة آل عمران من الآية(١٨٥).

(٣) سورة آل عمران الآية (٥٣).

بالأحقية في الوجود ، وبالخيرية والأفضلية على سائر ما في الأرض من أنظمة وأوضاع وتشكيلات .

وهو لا يؤدي هذه الشهادة كذلك حتى يجعل من هذا الدين قاعدة حياته ، ونظام مجتمعه، وشريعة نفسه وقومه، فيقوم مجتمع من حوله ، تدبر أموره وفق هذا المنهج الإلهي القويم ،وجهاده لقيام هذا المجتمع ، وتحقيق هذا المنهج؛ وإيثاره الموت في سبيله على الحياة في ظل مجتمع آخر لا يحقق منهج الله في حياة الجماعة البشرية، هو شهادته بأن هذا الدين خير من الحياة ذاتها وهي أعز ما يحرص عليه الأحياء! ومن ثم يدعى « شهيداً »

فهؤلاء الحواريون يدعون الله أن يكتبهم مع الشاهدين لدينه ،أي أن يوفقهم ويعينهم في أن يجعلوا من أنفسهم صورة حية لهذا الدين؛ وأن يبعثهم للجهاد في سبيل تحقيق منهجه في الحياة ، وإقامة مجتمع يتمثل فيه هذا المنهج . ولو أدوا ثمن ذلك حياتهم ليكونوا من « الشهداء » على حق لهذا الدين .

وهو دعاء جدير بأن يتأمله كل من يدعي لنفسه الإسلام ، فهذا هو الإسلام ، كما فهمه الحواريون، وكما هو في ضمير المسلمين الحقيقيين! ومن لم يؤد هذه الشهادة لدينه فكتمها فهو آثم قلبه ، فأما إذا ادعى الإسلام ثم سار في نفسه غير سيرة الإسلام؛ أو حاولها في نفسه ، ولكنه لم يؤدها في المجال العام ، ولم يجاهد لإقامة منهج الله في الحياة إيثاراً للعافية ، وإيثاراً لحياته على حياة الدين ، فقد قصر في شهادته أو أدى شهادة ضد هذا الدين ،شهادة تصد الآخرين عنه . وهم يرون أهله يشهدون عليه لا له.[1]

(١) في ظلال القرآن (١/٤٠٢).

ـ قوله تعالى﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(١)

ذكر الله محاسن هؤلاء الربيين ــ وهي جمع ربيّ وهو الجماعات الكثيرة ـ فذكر محاسنهم الفعلية بعدم وهنهم وعدم ضعفهم ، وعدم استكانتهم مع تحليهم بالصبر..

ثم ذكر في هذه الآية محاسنهم القولية وهي دعائهم عند نزول الكارثة والمصيبة بهم أنهم يدعون الله ويلجئون إليه في وقت الشدة بهذا الدعاء﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ فهو دعاء وطلب لمغفرة الذنوب وستر العيوب وتجاوز الحد، ثم الدعاء بتثبيت الأقدام عند جهاد أعداء الله وتقوية القلب حتى يتحقق النصر على الكافرين.

وطلبهم المغفرة من الذنوب مع كونهم ربانيين إشعار لأنفسهم بالتقصير، وكان دعاؤهم بالاستغفار مقدما على طلب النصر بتثبيت الأقدام في أثناء المعركة بقصد جعل طلبهم إلى ربهم عن تزكية نفس وطهارة وخضوع أقرب إلى الاستجابة(٢).

وفي هذا إيماء إلى أن الذنوب والإسراف في الأمور من عوامل الخذلان ، والطاعة والثبات من أسباب النصر والفلاح ، ومن ثم سألوا ربهم أن يمحو من نفوسهم أثر الذنوب.(٣)

ولذلك عقب الآية بقوله﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(٤)، وجاء العطف بالفاء التي تدل على السرعة ،والمراد بثواب

(١) سورة آل عمران الآية(١٤٧).

(٢) روح المعاني بتصرف(٤/١٣١، ١٣٢)،التفسير المنير(٤/١١٣، ١١٤).

(٣) تفسير المراغي(٢/٥٤) ط دار الفكر ط أولى١٤٢١هـ ـــ ٢٠٠١م.

(٤) سورة آل عمران الآية(١٤٨).

الدنيا النصر والظفر على الأعداء وطيب السمعة والعزة ، والمراد بثواب الآخرة رضوان الله ورحمته والقرب منه في دار الكرامة.

ـ قوله تعالى﴿...رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ. رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ. رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾(١)

حكيَ الله عن هؤلاء المؤمنين أن ألسنتهم مستغرقة في ذكر الله تعالى، وأبدانهم في طاعته ، وقلوبهم في التفكر في دلائل عظمته ، وبعد ذكر هذه الطاعات ذكر أنهم يطلبون من الله أن يقيهم عذاب النار، ثم أتبعوا ذلك بما يدل على عظم ذلك العقاب بقولهم﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾، وسر هذا الإتباع عظم هذا موقع السؤال ؛لأن من سأل ربه حاجة إذا شرح عظمها وقوتها كانت داعيته في ذلك الدعاء أكمل ، وإخلاصه في طلبه أشد ، والدعاء لا يتصل بالإجابة إلا إذا كان مقرونا بالإخلاص ، وهذا أيضا تعليم من الله تعالى فنا آخر من آداب الدعاء ، ثم ذكر نوعا آخر من أدعيتهم وهو تقديم الإيمان بالرسول ثم طلب المغفرة للذنوب وتكفير السيئات،وأن يتوفاهم مع الأبرار وهم الطائعون.

ثم ذكر نوعا آخر وهو قولهم﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ يعنى على ألسنة رسلك ،

﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وهو عدم الخزي يوم الحسرة والندامة وظهور الفضائح وانكشاف الستر ، وفي تصدير الدعاء بالنداء (ربنا) إظهار لكمال

(١) سورة آل عمران الآيات (١٩١، ١٩٤).

الضراعة والابتهال والتأكيد للإيذان بصدور المقال عنهم بوفور الرغبة وكمال النشاط(١).

ولذلك جاءت الاستجابة سريعة في قوله﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ﴾(٢).

ـ قوله تعالى﴿..الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا﴾(٣)

في الآيات السابقة على هذه الآية دعوة إلى قتال أهل الكفر وبيان لفضل هذا الجهاد في سبيل الله وأن صاحبه لا يجنى إلا الأجر العظيم عند القتل أو الغلب، ثم أنكر الله على الجماعة المؤمنة عدم قتالهم في سبيل الله وحال المستضعفين من الرجال والنساء والأطفال واضح أمامهم يتمنون الخروج من ديارهم لشدة ما نزل بهم ، ويلجئون إلى الله بهذا الدعاء لثقتهم أن مخلص لهم مما هم فيه إلا الله فلا يتعلقون بمجلس من المجالس ،أو دولة من الدول ،أو بجماعة من الجماعات،وإنما يلجئون إلى بارئهم وخالق القوى والقدر بقولهم﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾معترفين له بوصف الربوبية مع ما هم فيه من الضراعة ، والتعبير بالقرية يناسب جفاءها وغلظتها كما هو منهج القرآن غالبا في التعبير عن أهل القرى لجفائهم وقسوتهم قال تعالى﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ..﴾(٤)، وقال﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾(٥)

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي بتصرف(٥٣٣/٢، ٥٣٤).
(٢) سورة آل عمران من الآية (١٩٥).
(٣) سورة النساء من الآية (٧٥).
(٤) سورة الكهف من الآية (٥٩).
(٥) سورة الأعراف الآية (٤).

والمراد بالقرية مكة عند نزول الآية ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيصدق الوصف على كل حالة مشابهة ، ثم من دعائهم ﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ أي يتولى أمرنا ويستنقذنا من عدونا ، ولتنظر إلى قوله﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾ فلا بد أن يكون قادرا على الاستنقاذ لأنه من عنده تعالى ، وما يعلم جنوده إلا هو،﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ أي ناصرا ينصرنا على عدونا ، ولا يخفي ما فيه من استعمال صيغة المبالغة (نصيرا)،والآية إنكار على الجماعة المؤمنة في أي وقت إذا لم تدفع الظلم عن إخوانها وخاصة إذا وصل حالهم هكذا .

ـ قوله تعالى﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾(١)

الآية تصور حال جماعة من النصارى مخصوصين بمن كان حاله هكذا أنهم إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول من القرآن اهتزت مشاعرهم وفاضت أعينهم بالدمع ثم يعترفون بالإيمان بمحمدﷺ فهؤلاء هم الأقرب مودة للذين آمنوا وليس كل النصارى حتى تميع الآية وتصور أن كل النصارى على هذه الحال، وإنما هي جماعة منهم بدليل قوله ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ﴾ أي بعضهم.

ويحكي الله من دعائهم في الآية ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾أي يطلبون من الله أن يضمهم إلى قائمة الشاهدين لهذا الحق ،وأن يسلكهم في سلك الأمة القائمة عليه في الأرض(٢).

فالمسلم يجب عليه أن يتعلم من هذه الأدعية التي أوردها الله على لسان بعض خلقه،وأن يدعو الله بها فيسأله تعالى أن يكتبه مع الذين يشهدون لهذا الدين شهادة حقة تكون عونا له في عرصات القيامة وهولها وإلا كان من الهالكين.

---

(١) سورة المائدة الآية (٨٣).
(٢) في ظلال القرآن بتصرف(٩٦٢/٢).

ـ قوله تعالى﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(١)

في الآية حديث عن أصحاب الأعراف وهم قوم استوت حسناهم وسيئاهم على الأرجح ،إذا حولت أبصارهم جهة أهل النار، وفي التعبير عن تعلق أبصارهم بأصحاب النار بالصرف إشعار بان التعلق الأول وهو ما كان إلى أهل الجنة كان بطريق الرغبة والميل بخلاف الثاني فربما يكون قهرا.

يحكي الله عنهم أهم إذا صرفوا أبصارهم جهة أهل النار يدعون بهذا الدعاء﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي لا تجمعنا وإياهم في النار، وفي وصفهم بالظلم دون ما هم عليه من العذاب وسوء الحال أي لم يقولوا: لا تجعلنا مع القوم المعذبين مثلا إشعار بأن المحذور عندهم ليس نفس العذاب فقط بل ما يؤدي إليه من الظلم(٢).

وكيف لا وقد قال الله تعالى﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ..﴾(٣)

فالمسلم يلجأ إلى الله أن لا يجعله مع الظالمين حتى لا تكون عاقبته النار التي هي عاقبة الظالمين.

ـ قوله تعالى﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾(٤)

---

(١) سورة الأعراف الآية (٤٧).

(٢) تفسير أبي السعود(٣/١٨٤)، تفسير الألوسي (٨/ ١٨٦).

(٣) سورة هود من الآية (١١٣).

(٤) سورة الأعراف الآية (١٢٦).

هذا الدعاء ورد على لسان سحرة فرعون لما هددهم بتقطيع أيديهم وأرجلهم وتصليبهم لكن هذا التهديد لم يجدي معهم نفعا في رجوعهم إلى الكفر بعد أن هداهم الله للإيمان وهكذا لما تخالط بشاشة الإيمان القلوب، فلجئوا إلى الله بهذا الدعاء﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾،وقد سبق شرحه في سورة البقرة في دعاء قوم طالوت ، ثم سألوا الله أن يتوفاهم على الإسلام والإيمان بنبي الله موسى عليه السلام ؛لأهم أدركوا أن ما جاء لا يمكن أن يكون سحرا وإلا لأمكنهم معارضته على أقل تقدير،فلم يؤثر فيهم التهديد والوعيد من فرعون ولجئوا إلى الركن الشديد وهو باب الله تعالى.

وهكذا ينبغي أن يكون المسلم في طريق الله لا يضيره هديد أو وعيد أهل الباطل ويعتمد على الله سائلا إياه الصبر والثبات لأن الثبات بيده تعالى وأن ما يحدثه أهل الباطل بالمسلم بإرادة الله تعالى فهو قادر على صرفهم عنه.

ـ قوله تعالى﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(١)

الآية تتحدث عن المؤمنين وجزائهم في الآخرة وما أعد الله لهم من الجنات التي تجري فيها الأهار من تحتهم وفيه من النعيم ما فيه ، ثم تبين أن دعائهم في الجنة أي يدعون الله بقولهم سبحانك اللهم تلذذا بذكره ،أي يحيي بعضهم بعضا بالسلام ،أو تحية الملائكة لهم ،أو تحية الله لهم ،أي أهم يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد.

فالأولى بالمسلم أن يتعلم من دعاء أهل الجنة بان يكون لسانه رطبا بالتسبيح لله تعالى والحمد له في كل الأحوال.

---

(١) سورة يونس الآية (١٠).

أخرج الترمذي في سننه من حديث جابر بن عبد الله ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله)(١)

ــ قوله تعالى﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(٢)

وهذا الدعاء ورد على لسان المؤمنين من قوم موسي عليه السلام لما طلب منهم أن يتوكلوا على الله فقدموا بين يدي دعائهم التوكل على الله بأسلوب القصر، وهو تقديم ما حقه التأخير، وتقديم التوكل وإن كان امتثالا لأمر موسي عليه السلام إلا أنه تلويح بأن الداعي حقه أن يبني دعائه على التوكل على الله فإنه أرجي للإجابة ،وليس منافيا للدعاء ،وقولهم﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي موضع فتنة وعذاب بأن تسلطهم علينا فيعذبوننا ،أو يفتنوننا عن ديننا،أو يفتنوا بنا ويقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا.(٣)

وقولهم﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ دعاء بالإنجاء من سوء جوارهم وسوء صنيعهم بعد الإنجاء من ظلمهم، ولذا عبر عنهم بالكفر بعدما وصفوا بالظلم ففيه وضع المظهر موضع المضمر(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي : الدعوات ، باب: ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة ح ٣٣٨٣ (سنن الترمذي٧٤٦) ط دار الأعلام ط أولى ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م، وقال الترمذي:هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسي بن ابراهيم ، وحسنه الألباني(صحيح سنن الترمذي٣٨٩/٣).

(٢) سورة يونس الآيتان (٨٥، ٨٦).

(٣) روح المعاني(٢٤٩/١١)، معالم التنزيل(١٠٤/٣).

(٤) روح المعاني(٢٤٩/١١).

وكذلك ينبغي للمسلم أن يتعلم من هذا الدعاء إذا كان في موضع فتنة واستضعاف من الظالمين فيجعل توكله على الله ويفوض الأمر إليه، ويطلب النجاة من هؤلاء القوم الكافرين، وهذا أحد فوائد القصص القرآني أخذ العبرة والعظة.

ــ قوله تعالى﴿..رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾(١)

هذا الدعاء ورد على لسان أهل الكهف عندما فروا من قومهم ، وتركوا ما هم عليه من الكفر ، دعوا بهذا الدعاء قائلين: ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق والأمن من العدو، وهيئ لنا من أمرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا أي نصير بسببه راشدين مهتدين.(٢)

فهؤلاء الفتية مع إيمانهم بربهم الذي دفعهم للاعتراض على الباطل وأهله إلا أنهم لم يغفلوا هذا الباب باب الدعاء ، ولذا كانت عناية الله بهم واضحة، واستجابته لدعائهم ظاهرة قال تعالى

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا...الآيات﴾(٣) وهكذا حال من يلوذ بجناب مولاه ، ويتوكل على خالقه.

ــ قوله تعالى﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا . إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾(٤)

وهذا الدعاء ورد على لسان عباد الرحمن ومن صفاتهم أنهم يتضرعون إلى الله بعد وصفهم بالتواضع والحلم واجتهادهم في العبادة ، وفيه مزيد مدح لهم ببيان أنهم مع حسن معاملتهم مع الخلق، وحسن عبادتهم للخالق إلا أنهم يخافون العذاب

---

(١) سورة الكهف من الآية(١٠).

(٢) أنوار التنزيل (٤٨٠/٣).

(٣) سورة الكهف الآية (١١).

(٤) سورة الفرقان الآيتان (٦٥، ٦٦).

ويبتهلون إلى الله عز وجل في صرفه عنهم غير محتفلين بأعمالهم ، وقوله﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ تعليل لدعائهم، كما أن قولهم﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ تعليل آخر(١).

ومن هذا الدعاء يتعلم المسلم خوف هؤلاء العباد الذين أضافهم إليه تعالى(وعباد الرحمن) من الله،وذلك في أنه مع لزومهم للعبادة إلا أنهم لا يأمنون من عذاب الله، فيدعونه تعالى أن يصرفه عنهم ذاكرين في دعائهم ما هو علة لهذا الدعاء ، فاللهم اصرف عنا عذاب جهنم.

ـ قوله تعالى﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾(٢)

هذا دعاء ذكره الله على لسان عباد الرحمن أيضا يعنى من صفاتهم أنهم يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فإن المؤمن إذا شاركه أهله في طاعة الله سرّ بهم قلبه ، وقرت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة.

قوله﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ يقتدون بنا في أمر الدين بإضافة العلم والتوفيق للعمل(٣) .

فهذا الدعاء ينبغي أن يدعو به المسلم فيسأله تعالى أن يجعل له من أزواجه وأولاده ما تقر به عينه فالعبد تقر عينه إذا كان أولاده وأزواجه موافقين له في الطاعة والعبادة ثم يسأله تعالى أن يجعله للمتقين إماما، وأن يكون قدوة لغيره في الخير.

(١) روح المعاني(٦٦/١٩).

(٢) سورة الفرقان الآية (٧٤).

(٣) أنوار التنزيل بتصرف(٢٩/٤).

ـ قوله تعالى﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ . رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(١)

هذا الدعاء ورد على لسان حملة العرش ومن حوله، ومعناه: أن هؤلاء الملائكة دائما مستغرقين في تسبيح الله وحمده ، ثم يستغفرون للمؤمنين ويطلبون من الله أن يغفر لهم ما تقدم من أمورهم إذا جمعوا بين التوبة واتباع سبيل الله ، ويقدمون بين يدي الدعاء بأنهم في طلب الرحمة للناس إنما يستمدون من رحمة الله التي وسعت كل شيء وعلم الله الذي وسع كل شيء في قولهم ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي وسعت رحمتك كل شيء، وأحاط علمك بكل شيء، ويرتقون في الدعاء من الغفران إلى الوقاية من النار، ثم إلى سؤال الجنة واستنجاز وعد الله لعباده الصالحين مع من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، فالإنسان يهنأ ويشعر بلذة العيش إذا كان مرافقا لمن يحب ، ثم يطلبون من الله أن يقيهم السيئات وهي العقوبات ،أو جزاء السيئات، وفيه لفتة أن السيئات هي التي توبق أصحابها في الآخرة وتوردهم موارد الهلكة(٢)، مبينين أن من وصل إلى هذه المطالب فقد فاز فوزا عظيما.

والناظر إلى هذا الدعاء يري أنه من الأدعية الجامعة ففيه طلب المغفرة ،والوقاية من النار، وسؤال الدخول الجنة، والوقاية من السيئات مع الدقة في هذه المطالب حيث قيدوا المغفرة بالتائبين التابعين لسبيل الله، وتقييد الذرية والآباء

(١) سورة غافر الآيات (٧، ٨، ٩).

(٢) في ظلال القرآن بتصرف (٣٠٧١/٥)، وأنوار التنزيل (٨٥/٥).

والأزواج بالصالح فقط فما أجمل أن يدعو المسلم بهذا الدعاء ولا يستأثر في الدعاء بنفسه وإنما يكون محبا لنزول الخير بإخوانه وطلب مغفرة الله لذنوبهم ولحوقهم بالصالحين في جنات النعيم .

ـ قوله تعالى﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(١)

هذه الآية قيل نزلت في أبي بكر الصديق، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهي تشتمل على الدعاء في قوله﴿أَوْزِعْنِي﴾ يعنى ألهمني،﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾ والمراد نعمة الدين أو ما يعمها وغيرها ، ثم طلب من الله أن يلهمه عمل الصالحات المرضية عند الله تعالى ، ثم طلب صلاح الأبناء ويقدم ما هو علة لذلك التوبة إلى الله وإسلام الوجه له تعالى(٢) .

فالعبد المسلم ينبغي أن يقتدي بهؤلاء الصالحين من السلف في سؤال الله والتضرع إليه أن يلهم الشكر على النعمة لأن الشكر يؤدي إلى حفظ هذه النعم ، وطلب التوفيق إلى العمل الصالح المرضي، وأن يكون الصلاح ساريا في ذرية العبد فما أجمع هذا الدعاء .

ـ قوله تعالى﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٣)

(١) سورة الأحقاف الآية (١٥).
(٢) روح المعاني (٢٥/٣٠)، معالم التنزيل(٥/٨٣).
(٣) سورة الحشر الآية (١٠).

والمراد بالذين جاءوا من بعدهم أي من المهاجرين والأنصار من التابعين ومن بعدهم إلى يوم القيامة، والآية وردت فيمن يستحق الفيء وهو ما أخذ من المشركين بدون قتال فبينت أنه للمهاجرين، والأنصار ومن جاء بعدهم، وقد ذكرت أن هؤلاء التابعين ومن تبعهم يدعون لأنفسهم ولمن سبقهم بالإيمان والمغفرة، وأن لا يجعل في قلوبهم غلا أي غشا وحسدا وبغضا لأحد من المؤمنين، وهكذا ينبغي أن تكون العلاقة بين المؤمنين سلامة القلوب من الغل وطلب المغفرة للجميع(١).

ـ قوله تعالى﴿..رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ . رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٢)

يحتمل أن يكون هذا الدعاء متصل بما قبل الاستثناء وهو البيان للمؤمنين بأن يتأسوا بإبراهيم عليه السلام ومن آمن معه إذ تبرئوا من أهل الكفر والشرك وأعلنوا لقومهم هذا التبرؤ والعداوة والبغضاء حتى يحققوا الإيمان بالله فيكون الدعاء من تمام ما أمروا به في الاقتداء بهم، ويكون من كلام إبراهيم عليه السلام وقومه.

ويحتمل أن يكون أمر من الله للمؤمنين بأن يقولوه تتميما لما أوصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار فلا يكون من كلام إبراهيم وقومه.

وفي ابتداء الدعاء بإعلان التوكل وتفويض الأمر إلى الله تعالى،والإذعان بالرجوع والتوبة إليه،والاعتراف بالمصير إليه في الآخرة على هذا الأسلوب من الحصر بتقديم ما حقه التأخير (عليك، وإليك) من دواعي الإجابة لاشتماله على الإخلاص، ثم سألوا الله أن لا يجعلهم فتنة للذين كفروا يعنى لا تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله،﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ ما فرط منا ،

(١) معالم التنزيل للبغوي(٥/٢١٥).
(٢) سورة الممتحنة من الآية (٤، ٥).

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ومن كان كذلك كان حقيقا بأن يجير المتوكل ويجيب الداعي(١).

فالمسلم عليه أن يلزم هذا الأمر من الله ويدعو بهذا الدعاء بأن لا يمكن الله أهل الكفر من أهل الإيمان فيفتنوهم عن دينهم بالتعذيب والإيذاء.

ـ قوله﴿...يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢)

وفي صدر الآية أمر الله المؤمنين بالتوبة النصوح رجاء أن يغفر لهم الذنوب ويكفر عنهم السيئات ويجعلهم من أهل الجنة في يوم لا يخزي الله فيه النبي والمؤمنين معه.

ثم يحكي من دعاء النبيﷺ والمؤمنين عندما يرون النور يسعى بين أيديهم وبأيمانهم وقد أطفئ نور المنافقين فيدعون بهذا الدعاء﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فقد قيل إنهم تتفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم فيسألون إتمامه تفضلا.(٣)

---

(١) أنوار التتريل(٥/٣٢٧).

(٢) سورة التحريم من الآية (٨).

(٣) أنوار التتريل بتصرف(٥/٣٥٨).

القسم الثالث

الأدعية التي لقنها الله لبعض خلقه

من رحمة الله بعباده أنه خلقهم ودلهم عليه ليعرفوه ، فأرسل إليهم الرسل ليعرفوهم به تعالى وأنزل إليهم الكتب ليرشدوهم إلى الطريق المستقيم ثم عرفهم إن هم عصوه أن يستغفروه ويتوبوا إليه وجعل الاستغفار أمانا لهم من العذاب حيث قال تعالى﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(١)، ووعدهم إن هم دعوه أن يستجيب لهم ، ثم من تمام رحمته أن علمنا في القرآن كيف ندعوه بما أورده من أدعية على ألسنة أنبيائه ،أو بعض خلقه ،أو بما لقنه لبعض خلقه ، ومن هذا النوع الأخير وهو الأدعية التي لقنها لبعض خلقه الآتي:

ـ قوله تعالى﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾(٢)

الآية في مقام الأمر بالإحسان إلى الوالدين ، وهما من أعظم الناس حقا على الإنسان بعد الله تعالى ، ولذلك ورد الأمر بالإحسان إليهما بعد الأمر بعبادة الله تعالى قال تعالى﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾(٣)، وقال أيضا﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا..الآية﴾(٤)،وقال﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا

---

(١) سورة الأنفال الآية (٣٣).

(٢) سورة الإسراء من الآية (٢٤).

(٣) سورة الإسراء الآيات (٢٣، ٢٤).

(٤) سورة النساء من الآية (٣٦).

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا..﴾(١) إلى غير ذلك من الآيات التي تأمر بالإحسان إليهما وعدم عقوقهما، وفي الآية التي هي محل الشاهد تعليم من الله للعبد أن يطلب الرحمة من الله لوالديه ولا يكتفي برحمته هو لهما فإن رحمته لا بقاء لها ، وإنما يدعو الله أن يرحمهما رحمته الباقية وأن يكون دعاؤه ذلك جزاء لرحمتهما به صغره ، وتربيتهما له.

فالواجب على المسلم أن يدعو لوالديه بهذا الدعاء في كل وقت فهما قدم لهما لن يكافئهما على ما قدماه له، وأن يتأدب بهذا الدعاء حتى يكون ذلك سببا لرزقه بذرية بارة به يدعون له كما دعا هو لوالديه.

ـ قوله تعالى ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٢)

أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال :ذكر لنا أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يجعل ملك الروم وفارس في أمته فأنزل الله ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ..الآية﴾(٣)

وقال ابن عباس وأنس بن مالك ﵄:لما افتتح رسول الله ﷺ مكة ووعد أمته ملك فارس والروم ، قالت المنافقون واليهود:هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم ؟ هم أعز وأمنع من ذلك ،ألم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم ؟ فأنزل الله هذه الآية.(٤)

---

(١) سورة الأنعام من الآية (١٥١).

(٢) سورة آل عمران الآيتان (٢٦، ٢٧).

(٣) أسباب النزول للواحدي(٥٤) ، وأسباب النزول للسيوطي(٧٤) .

(٤) أسباب النزول للواحدي(٥٤).

وفي هاتين الآيتين تعليم من الله لنبيه محمد ﷺ كيف يلجأ إلى الله وكأنه يقول له إذا أعرض المشركون عن قبول دعوتك فالجأ إلى الله مالك الملك وصاحب الأمر، وتوجه إليه وقل: ياألله فأصل كلمة اللهم ياألله حذفت يا النداء وعوض عنها بميم الجمع ، ولا يجوز الجمع بين يا والميم إلا في ضرورة الشعر كقول الشاعر:

وإني إذا حدث ألما ... أقول يا اللهم ياللهما

فيقول: يا ألله يا مالك الملك لك السلطان المطلق،وأنت المتصرف في خلقك، الفعال لما تريد، ومدبر الأمور على وفق حكمتك فأنت المعطي وأنت المانع، تؤتي الملك والنبوة من تشاء من عبادك، وتنزع الملك ممن تشاء من خلقك، وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير بقدرتك وحدك تتصرف فيه حسب مشيئتك إنك على كل شيء قدير، ومن مظاهر قدرتك إدخال الليل في النهار وعكسه،وإخراج الحي من الميت والعكس، فيطول الليل ويقصر النهار،أو يطول النهار ويقصر الليل، وكذلك إخراج الحي من الميت ومن معانيه الإنسان من النطفة ،وإخراج الميت من الحي كالنواة من النخلة ، والبيضة من الطائر، والجاهل من العالم وغيرها ، وكذلك ترزق من تشاء بغير حساب.(١)

وهكذا لقن الله نبيه ﷺ أن يدعو بهذا الدعاء ، فلا ينبغي أن يتصور عاقل أن شيئا في هذا الكون عزيزا على الله تعالى فالملك كله بيده يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء ، ولا يغتر بهيمنة الظالمين على البلاد والعباد فإن زوال ملكهم بيده تعالى.

ـ قوله تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾(٢)

---

(١) التفسير المنير بتصرف(١٩٣/٣، ١٩٤، ١٩٥).

(٢) سورة الإسراء الآية (٨٠).

هذا من الأدعية التي لقنها الله نبيه محمدا ﷺ وأمته من بعده بعد أن أمر الله نبيه محمدا ﷺ بإقامة الصلاة المفروضة وبالتهجد من الليل في قوله﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا . وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾(١)

لقنه هذا الدعاء ليدعو به، وفي المراد بالإدخال والإخراج في الآية ثلاثة أقوال:

أولها: أن المراد بالدخول دخول القبر، والإخراج منه عند البعث، ومعنى (صدق) في الموضعين مرضيا ملقيا بالكرامة.

والثاني: المراد بالإدخال إدخال المدينة عند الهجرة إليها ،والإخراج من مكة فسورة الإسراء مكية.

والثالث: أن المراد بالإدخال مكة فاتحا ، والإخراج خروجه منها آمنا من المشركين ، ومعنى قوله﴿وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ أي: حجة تنصرني بها على من خالفني(٢).

فلو قلنا بأن المعنى الأول هو المراد وهو دخول القبر عند الموت والخروج منه عند البعث فهو تلقين للدعاء بما يعلم به العبد أن يدعو الله به أن يدخله القبر دخولا مرضيا من الموت على التوحيد والعبادة، وأن يخرجه منه للبعث حيث يوفر له الله الإقامة المرضية المعهودة التي لا كرامة فوقها.

ـ قوله تعالى﴿.. وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(٣)

(١) سورة الإسراء الآيتان (٧٨، ٧٩).

(٢) إرشاد العقل السليم بتصرف (٤/٤٥٥، ٤٥٦).

(٣) سورة طه من الآية (١١٤).

بعد أن نزه الله تعالى ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين، وأن ذاته لا تماثل ذواتهم ، ووصف نفسه بهذين الوصفين﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ وهو النافذ أمره ونهيه الثابت في ذاته وصفاته ، نهى الله نبيه ﷺ عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل عليه السلام حيث كان يسرع في قراءته للقرآن عند تلقيه منه قال تعالى﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾(١)، وفي هذا الموضع يقول﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ..﴾(٢)، ثم لقن الله نبيه ﷺ هذا الدعاء﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾أي: سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فإن ما أوحي إليك تناله لا محالة.(٣)

والأمة الإسلامية مأمورة بالاقتداء بالنبي ﷺ فيما أمر به وما نهى عنه فالواجب أن يسأل العبد ربه أن يزيده من العلم لأن العلم من أعظم ما يعطي، وهو ميراث النبوة وناهيك عن منزلة العلم والعلماء كما وردت بالقرآن والسنة النبوية ، وإعطاء العلم ومنحه إنما هو بتوفيق من الله قال تعالى﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ..﴾(٤) فهذا تلقين للدعاء بزيادة العلم ينبغي للعبد أن يدعو بهذا الدعاء.

ـ قوله تعالى﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾(٥)

هذه الآية حكاية عن نبي الله نوح عليه السلام فقد أمره الله أن يحمده على ما سخر له من هذه السفينة ، فنجاه بها ومن معه وفتح بينه وبين قومه، وأقر عينه ممن خالفه

(١) سورة القيامة الآيتان (١٦، ١٧).

(٢) سورة طه من الآية (١١٤)

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي(٤/٧٢).

(٤) سورة البقرة من الآية (٢٦٩).

(٥) سورة المؤمنون الآية (٢٩).

قال تعالى﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[١]، ثم أمره أن يدعو بهذا الدعاء ،﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ومعنى أنزلني أي في السفينة ،أو في الأرض،﴿مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ أي يتسبب لمزيد الخير في الدارين ،﴿ وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ وهذا ثناء يطابق دعائه أمره به مبالغة في الدعاء وتوسلا إلى الإجابة[٢].

فهذه الآية اشتملت على تعليم الدعاء في ابتداء الأمور كما قال تعالى﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ. لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ. وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾[٣]

فهذه الآية وإن كانت حكاية عن نوح عليه السلام إلا أنها في الوقت نفسه تعليم لهذه الأمة أن تدعو بهذا الدعاء في ابتداء الأمور وركوب الدواب أو السيارات أو أي وسيلة من وسائل المواصلات حتى يتأول العبد القرآن فيكون عبدا قرآنيا في كل حركاته وسكناته.

ـ قوله تعالى﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ. رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٤]

والمعنى:إن كان لابد من أن تريني ما يوعدون من العذاب، يا رب فلا تجعلني في القوم الظالمين أي قرينا لهم فيما هم فيه من العذاب، وهذا أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ أن يدعو بهذا الدعاء لأن الظلم عاقبته وخيمة وقد نهي الله عن الركون إلى

---

(١) سورة المؤمنون الآية (٢٨).

(٢) أنوار التنزيل بتصرف (٤/ ١٥٣).

(٣) سورة الزخرف الآيات (١٢، ١٣، ١٤).

(٤) سورة المؤمنون الآيتان (٩٣، ٩٤).

الظالمين قائلا﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[١]

وفي أمره ﷺ بأن يدعو بهذا الدعاء مع أنه في حرز عظيم من أن يجعل قرينا لهم إيذان بكمال فظاعة العذاب الموعود وكونه بحيث يجب أن يستعيذ منه من لا يكاد يمكن أن يحيق به ، وقيل: أمر بذلك هضما لنفسه وإظهارا لكمال العبودية ، وقيل غير ذلك.[٢]

ولا مانع من أن يكون هذا تعليما لأمته بأن تدعو بهذا الدعاء وهو عدم الكون في الظالمين، والابتعاد عنهم فينبغي للعبد أن يتعلم هذا الدعاء ويدعو به.

ـ قوله تعالى﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ. وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[٣]

في الآية أمر لنبيه ﷺ أن يستعيذ ويستعين بالله من وساوس الشياطين، فلا عاصم له منها إلا الله ،والهمزات:جمع همزة ،وأصل الهمز النخس، والجمع لتنوع الوساوس،أو لتعدد المرات،أو لتعدد المضاف إليه.

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾أي في شيء من أمري، وكذلك أمر بالاستعاذة من الشيطان في جميع الأحوال الأكل والشرب، والجماع، والذبح وغير ذلك من الأمور، وكان ﷺ يقول: اللهم إني أعوذ بك من الهرم ، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت[٤].

---

(١) سورة هود الآية (١١٣).

(٢) روح المعاني (١٨/ ٩٠، ٩١)، أنوار التنزيل (٤/١٦٦).

(٣) سورة المؤمنون الآيتان (٩٧، ٩٨).

(٤) أخرجه أبو داود ك: الصلاة ، باب: في الاستعاذة ح ١٥٥٢ (سنن أبي داود ٤٢١).

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات نقولها عند الفزع من النوم، بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون([1]).

فعلى المسلم.أن يتعلم هذا الدعاء من القرآن وأن يدعو به وأن يستعيذ بالله من هذا الشيطان فيعلم أنه لا مقوي له على هذا الشيطان ولا مقدر له إلا الله سبحانه وتعالى.

ـــ قوله تعالى﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾([2])

هذه الآية تشتمل على إرشاد من الله لنبيه ﷺ ولأمته على اعتبار أن خطابه خطاب للأمة إلا ما ثبت فيه خصوصيته ـــ إرشاد إلى أن يدعو بهذا الدعاء أن يسأل الله المغفرة ، وهي محو الذنب والستر عن الناس ، والرحمة وهي السداد في الأقوال والأفعال.

وعن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي، فقال له:قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم.([3])

ـــ قوله تعالى﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِن شَرِّ مَا خَلَقَ . وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ . وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ . وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾([4])

---

(١) أخرجه الترمذي ك: الدعوات ح ٣٥٣٧(سنن الترمذي ٩٧٦) وقال الترمذي :حديث حسن غريب ، وحسنه الألباني (٣/٤٤٩).

(٢) سورة المؤمنون الآية (١١٨).

(٣) أخرجه مسلم ك: الذكر والدعاء ، باب: الدعوات والتعوذ ح٢٧٠٥(صحيح مسلم ٢٥/١٧).

(٤) سورة الفلق (١، ٥).

هذه السورة اشتملت على أمر من الله لنبيه ﷺ أن يستعيذ بالله فهو المستعاذ به في جميع الأحوال والحقيق بذلك، واختار لفظ الرب هنا لأن لفظ الرب أوقع من سائر أسمائه تعالى لأن الإعاذة من المضار قريبة .

والمراد بالفلق الصبح لأنه يفلق ظلمة الليل بضيائه ،أمره الله أن يستعيذ به من هذه الأشياء الأربعة وهي: شرور خلقه،ومن شرور الليل إذا دخل بظلامه فالغاسق هو الليل ، ومعنى وقب أي:دخل بظلامه، وخصه بالذكر لأن المضار فيه تكثر ويعسر الدفع.

الأمر الثالث: هو شر النفاثات في العقد وهن النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها، وحديث سحر النبي مشهور وقد مضى ذكره في آداب الدعاء.

والأمر الرابع هو شر حاسد إذا حسد، ومعنى إذا حسد أي:إذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه والحسد تمنى زوال نعمة الغير وهو منهي عنه.([1])

فهذه الأمور الأربعة أمر الله نبيه ﷺ أن يستعيذ به تعالى فيها للوقاية من شرها ونحن مأمورن بالاقتداء به ﷺ أن ندعو بهذه السورة حتى يقينا الله هذه الشرور.

ـــ سورة الناس﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ . مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ . الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ .﴾([2])

في السورة أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ أن يستعيذ برب الناس ملك الناس وإله الناس، ووصفه بهذه الصفات الثلاث الرب والملك والإله دلالة على أنه حقيق بالإعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها، وتكرار لفظ الناس لما في الإظهار من مزيد البيان والإشعار بشرف الإنسان.

---

(١) أنوار التنزيل بتصرف (٥/ ٥٥٠، ٥٥٢).

(٢) سورة الناس (١، ٦).

يقول البيضاوي: لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم الإنسان وغيره ، والاستعاذة في هذه السورة من الأضرار التي تعرض للنفوس البشرية وتخصها عمم الإضافة ثم ،وخصصها بالناس هاهنا فكأنه قيل:أعوذ من شر الوسواس إلى الناس بربهم الذي يملك أمورهم ويستحق عبادهم([1]).

والمراد بالوسواس الخناس:الذي يوسوس من الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة،والذي من عادته أن يخنس إذا ذكر الإنسان ربه وهو الشيطان.

وهذا الشيطان من الجنة والناس يعني هناك شياطين الجن وشياطين من الإنس.

أمر الله نبيه ﷺ أن يستعيذ بالله من هذه الشياطين فإن الذي يقدر على حفظ الإنسان منها هو الله تعالى فلقد أخذ إبليس العهد على الله منذ طرده من الجنة أن يعمل على إغواء بني آدم قائلا

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾([2]) إلا أن الله يحفظ عباده المتعلقين ببابه تعالى فلا يقدر إبليس على غوايتهم قال تعالى﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾([3])

فالواجب على المسلم أن يدعو بهذه السورة اقتداء بنبيه ﷺ حتى يكون في حفظ من هؤلاء الشياطين الذين يبعدونه عن طريق الخير ويوردونه المهالك والسوء.

---

(١) أنوار التتريل (٥/٥٥٣).

(٢) سورة ص الآية (٨٢).

(٣) سورة الحجر الآية (٤٢).

المبحث الخامس

آثار الدعاء في حياة المؤمنين

ترجع أهمية الدعاء بالنسبة للمسلم إلى كونه وسيلة لاستمطار رحمات الله تعالى في حال الشدائد والتعرف إليه في حال الرخاء.

وبواسطة الدعاء تنفرج الأزمات وتنحل العقد، وتستدفع الشدائد والصعاب،هذا فضلا عن أن الدعاء في حال الرخاء واليسر لون من ألوان العبادة التي توثق عري الصلة بالله تعالى .

وللدعاء آثار عظيمة في حياة المؤمنين سنقف على بعض هذه الآثار من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن هذه الآثار ما يأتي:

أولا: الدعاء سبيل لكشف البلاء:

جرت سنة الله تعالى في ابتلاء بعض العباد،وعلى قدر هذا البلاء يكون قدر إيمان العبد قال تعالى﴿الم . أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾([1])

وقال ﷺ:أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلي الرجل على حسب دينه ،فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء حتى يمشي في الأرض وما عليه خطيئته([2]).

---

(١) سورة العنكبوت الآيتان (١، ٢).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/٣٦٤) من حديث سعد بن أبي وقاص ح ١٤٨١ ،وأخرجه ابن ماجة في سننه أبواب الفتن، باب: الصبر على البلاء ح ٤٠٢٣ (سنن ابن ماجة ٦٠٩)،وأخرجه الترمذي ك:الزهد ، باب: ما جاء في الصبر على البلاء ح٢٤٠٣ وقال حديث حسن صحيح (سنن الترمذي ٦٨٧).

وقد يكون هذا الابتلاء ليقرب الله العبد منه، لأنه إذا ابتلي رجع إلى مولاه قال تعالى ﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون. فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون. فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون. فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾(١)

بين الله في الآيات أن من كفار الأمم الماضية من بلغوا في القسوة إلى أن أخذوا بالشدائد ليخضعوا ويلتجئوا إلى الله فلم يفعلوا، فكان عقاب الله لهم لما لم يتضرعوا ويلجئوا إلى الله أن ابتلاهم بالعطاء والإنعام حتى يأخذهم بغتة فإذا هم متحسرون.

مع أن الله تعالى أودع في فطرة الإنسان التوحيد والإذعان للخالق الحقيقي الباهر القدرة الذي تفوق قدرته كل شيء ، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، هذه الفطرة وهي اللجوء إلى الله تعالى في حال الشدة كدليل على وحدانيته قال تعالى ﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين. فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون﴾(٢)

---

(١) سورة الأنعام الآيات (٤٢، ٤٥).

(٢) سورة يونس الآيتان (٢٢، ٢٣).

وقال ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا﴾(١)، وقال أيضا ﴿وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون. ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون﴾(٢)

ومعنى الآية: وما يصاحبكم من نعمة فمن فضله وإحسانه ﴿ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون﴾ أي لا تتضرعون إلا إليه، وفي تقديم الجار والمجرور ﴿فإليه﴾ على متعلقه ﴿تجأرون﴾ ما يدل على الاختصاص لعلمهم أنه لا يقدر على كشفه إلا هو سبحانه. والجؤار في الأصل: صياح الوحش واستعمل في رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة. ولكن إذا كشف عنهم الضر تجدد إشراكهم بعبادة غيره سبحانه ،أو نسبة النعمة إلى غيره.(٣)

وقال تعالى ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾(٤)، وقال ﴿وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور﴾(٥)

كل هذه الآيات متضافرة تؤكد على حقيقة أن الذي يقدر على كشف البلاء هو الله سبحانه وتعالى، وأن العبد إذا تضرع إليه حين نزول البلاء كشف عنه هذا البلاء ، ولكن بعد هذا الرفع والكشف يرجع إلى طبيعته المعاندة بمعصية ربه بل بكفر نعمه وجحودها ونسيان المنعم بها .

---

(١) سورة الإسراء الآية (٦٧).

(٢) سورة النحل الآيتان (٥٣، ٥٤).

(٣) روح المعاني (٨/٢٤٣، ٢٤٦)، وتفسير القاسمي(٦/٣٩٦).

(٤) سورة العنكبوت الآية (٦٥).

(٥) سورة لقمان الآية (٣٢).

قال تعالى﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ . قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾(١)

أمر الله نبيه ﷺ في هاتين الآيتين أن يقول للمشركين الغافلين عن آيات التوحيد: من ينجيكم من ظلمات البر والبحر فحينئذ لا تجدون غير الله تدعونه علانية وسرا بخشوع وخوف، واستغاثة وتضرع قائلين:لئن أنجيتنا من هذه الشدائد والظلمات﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، ولننظر إلى المؤكدات في كلامهم حيث أكدوا كلامهم باللام ونون التوكيد الثقيلة، قل لهم يا محمد الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون به غيره، وأتي بحرف العطف(ثم) لتباعد ما بين ما ينبغي أن يكون عليه العبد من الشكر للمنعم وبين ما وصل إليه من الكفر.

قال الأستاذ سعيد حوي:وسنري في هذه السورة (يقصد سورة الأعراف حضا كثيرا على الدعاء وطلبا شديدا له حتى إن الحكمة في الابتلاء إنما هي من اجل التضرع ، والتضرع دعاء.(٢)

والآيات في القرآن مبثوثة وكثيرة تصور هذه الحقيقة وهي أن الذي يقدر على رفع البلاء والذي يدعي في وقت الشدة هو الله تعالى وحده دون سواه.

ومنها غير ما سبق قوله تعالى﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٣)

---

(١) سورة الأنعام الآيتان (٦٣، ٦٤).

(٢) الأساس في التفسير(١٩١٨/٤).

(٣) سورة يونس الآية (١١).

يصور الله في الآية حال الإنسان إذا نزل به بلاء أو ضرر أيا كان نوع هذا البلاء وهذا الضر ، وما أجمل تعبير الحق عن ذلك بلفظ (مسّ) وهو مجرد الاقتراب منه على سبيل المس فيكون حاله أن يتضرع إلى ربه على أي حالة سواء أكان قائما أم قاعدا،أو حتى مضطجعا عاجزا عن النهوض والقيام، فلما يكشف الله عنه الضر رجع إلى حالته الأولى قبل الدعاء ، ونسي ما كان كأنه لم يدع الله إلى ضر مسه، وهذه صفة المسرفين الذين يجأرون إلى الله وقت الشدة وينسونه وقت الرخاء.

ما أغلظ هذه القلوب وما أقساها حينما ترجع إلى بارئها وقت شدتها وتنساه وقت رخائها ، وكأن حال قلوب بعض هذه الأمة أصبح يشابه حال قلوب بني إسرائيل الذين نجاهم الله تعالى من فرعون وقومه لكنهم ما كادوا يمرون على قوم يعكفون على أصنام حتى يسألوا موسي عليه السلام أن يجعل لهم آلهة مثل هذه الآلهة قال تعالى﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾(١) ألا يؤمنوا بالله الذي نجاهم من فرعون وقومه ولكنها غلظة القلوب وقسوتها وإيمانها بالماديات والمحسوسات وغفلتها عن الإيمان برب الأرض والسماوات.

وقال تعالى﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾(٢)

وقال﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ . وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٣٨).

(٢) سورة الزمر الآية (٨).

رُجعتُ إلى ربي إن لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ . وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض﴾(١)

وقال﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون﴾(٢)

﴿وأم﴾ هنا منقطعة بمعنى بل،والهمزة قبل للإضراب الانتقالي:وهو الانتقال من التبكيت تعريضا إلى التصريح به خطابا على وجه أظهر منه لمزيد التأكيد والتشديد والسؤال هنا للتبكيت، يعني: من الذي يجيب المضطر وهو الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر إلى اللجوء والتضرع إلى الله فنبه تعالى أنه المدعو عند الشدائد الموجود عند التوازل.(٣)

إلى غير ذلك من الآيات التي تؤكد هذا المعنى وهو أن من آثار الدعاء رفع البلاء والشدة فإذا نزل بالإنسان شدة أو بلاء فلا يحقر من هذا الدواء وهو الدعاء وليلجأ إلى مولاه مراعيا الآداب التي سبق ذكر ها يرفع الله عنه هذا البلاء بإذنه ومنّه وكرمه.

وقد حكي الله في القرآن — كما سبق ذكره — عن نبيه يونس عليه السلام أنه لما لجأ إليه نجاه من الغم والبلاء قال تعالى﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾(٤)

(١) سورة فصلت الآيات (٤٩، ٥١)

(٢) سورة النمل الآية (٦٢).

(٣) روح المعاني(١١/١٠).

(٤) سورة الأنبياء الآيتان (٨٧، ٨٨).

فقد ذيل الله الآية بقوله﴿وكذلك ننجي المؤمنين﴾، يعنى المؤمنين في كل وقت وزمان وفي كل مكان حيث يحكي الله ذلك لهذه الأمة حتى تأخذ منها العبرة والعظة.

كما حكي الله تعالى عن نبيه أيوب عليه السلام لما ناجاه ودعاه قائلا﴿..أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين . فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾(١) هذه مقامات الأنبياء والمرسلين ينشرها الله في القرآن لتكون عبرة وذكري للعابدين الذين يلجئون إلى الله دون غيره.﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾(٢)

إن عطاء الله تعالى لا تتوقف على الأسباب، فهو يعطي بالأسباب، ويعطي من غير الأسباب فزكريا عليه السلام الذي بلغ من الكبر عتيا وزوجه تلك المرأة العقيم حينما يتوجه إلى الله أن يجعل له ولدا يقيم دين الله في الأرض ومثله لا يتأتي منه الإنجاب على حاله تلك فيصلح الله له زوجه ويعطيه ولدا يحيا في الأولين والآخرين.

وكذلك الحال مع إبراهيم عليه السلام الذي وهبه إسماعيل وإسحاق، وكذلك يعطي الله من غير الأسباب، بل إن الله يعطي ضد الأسباب لأن له القدرة المطلقة التي لا تحدها حدود ولا قيود، فالماء الذي من شأنه الإغراق ينجي الله منه يونس وموسي عليهما السلام، والنار التي من شأنها الإحراق ينجي الله منها إبراهيم الخليل عليه السلام، وكذلك من لاذ بجناب الله ووقف في رحابه ، وطرق بابه لا يخذله أبدا.

(١) سورة الأنبياء الآيتان (٨٢، ٨٣).

(٢) سورة ق الآية (٣٧).

يقول الإمام ابن القيم ــ رحمه الله ــ:

والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدفعه ويعالجه ويمنع نزوله ويدفعه أو يخففه إذا نزل ، وله مع البلاء ثلاث مقامات:

أحدها:أن يكون أقوي من البلاء فيدفعه.

ثانيها:أن يكون أضعف من البلاء فيقوي عليه البلاء فيصاب به العبد ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفا.

الثالث: أن يتفاوتا ويمنع كل واحد منهما صاحبه.

روي الحاكم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ (لا يغنى حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء ينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة.)(١)، ومن حديث ابن عمر ﵁ عن النبي ﷺ قال : الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل،فعليكم عباد الله بالدعاء)(٢)،وفيه أيضا من حديث ثوبان عن النبي قال: لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه).(٣)(٤)

فهذه الأحاديث تدل على آثار الدعاء في رفع البلاء،وقد سبق أن أزلنا التعارض الظاهر بين الدعاء والقضاء والقدر.

ثانيا ــ الدعاء سلاح للنصر:

لقد أمر الله تعالى بقتال أهل الكفر حتى يكون الدين كله لله قال تعالى﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ..﴾(٥)

(١) سبق تخريجه .
(٢) سبق تخريجه.
(٣) أخرجه الحاكم ك:الذكر والتسبيح والتكبير ح١٨٥٠ ، وقال:هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي(المستدرك٥٣/٢).
(٤) الداء والدواء لابن القيم (١٩، ٢٠).
(٥) سورة الأنفال من الآية (٣٩).

والصراع بين الحق والباطل أبدي إلى قيام الساعة، فهو سنة من سنن الله ليتميز أهل الحق من أهل الباطل ، والغلبة والنصر تكون لأهل الحق قال تعالى﴿..وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١) ، ولكن شريطة أن يحققوا أسباب نصرهم وهو الإيمان ونصر الله تعالى بنصر دينه فهو من القوانين الإلهية التي تتسم بالديمومة والأبدية والتي لا تتخلف في زمان أو مكان قال تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(٢)، فإن الأمة إذا نصرت الله تعالى بنصر دينه نصرها الله على عدوها ولا بد لهذا الحق من قوة تحميه حتى يقوي على الباطل ولذا وجدنا الله يأمرنا بإعداد القوة حيث يقول﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ..﴾(٣)،وقد ورد تفسير معنى القوة بالرمي في حديث أخرجه مسلم من حديث عقبة بن عامر ﵁ قال سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول :﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ..﴾ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي.(٤)

فهذا بيان من الرسول الكريم ﷺأن المراد بالقوة في الآية هو الرمي، وهي كلمة مطلقة تصلح أن يكون المراد الرمي بالسهام ،أو الرمي بالدبابات ،أو بالقنابل بل في بعض الأحيان يكون الرمي بالحجارة له أثره،المهم أن الأمة حتى تحمي الحق الذي كلفت بحمايته حتى تكون في معية الرسول المعية الخاصة لحماية الدين لا بد

(١) سورة الروم من الآية (٤٧).
(٢) سورة محمد الآية (٧).
(٣) سورة الأنفال من الآية (٦٠).
(٤) أخرجه مسلم ك:الإمارة ، باب: فضل الرمي والحث عليه ح ١٩١٧(صحيح مسلم ٥٤/١٣).

أن تعد القوة والأسلحة ، ومن هذه الأسلحة أسلحة مادية محسوسة وهي مطلوبة فاليد العليا خير من اليد السفلي، وأسلحة معنوية ومن هذه الأسلحة التي ينبغي للأمة أن لا تهملها سلاح الدعاء وهو سلاح ربما يقلل البعض من أهميته، ولكن أثبتت السنن الإلهية على مر التاريخ أن هذا السلاح كان له أعظم الأثر في النيل من العدو، وذلك مع الأخذ بالأسباب المادية ثم الانتقال إلى المسبب الأعلى فهو سبحانه ناصر لمن يدعوه ويرجوه، وقد وضع قوانين الحرب والقتال في القرآن ينتصر من أخذ بها وتحل الهزيمة بمن يتركها ويدعها قال تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ. وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ..﴾(١) فإن المقاتل إذا دخل ميدان القتال يجب عليه أن يتحلي بالثبات وعدم الفرار من العدو؛فإن الفرار من الكبائر(٢) إلا إذا كان متحرفا لقتال أو متحيزا إلى جماعة من أصحابه كما قال تعالى﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ..﴾(٣) ، ثم الإكثار من ذكر الله فإن الذكر يثبت اللسان الذي يكون على أثره ثبات القلب، ثم تحقيق الطاعة لله

---

(١) سورة الأنفال الآيات (٤٥، ٤٧).

(٢) أخرج الشيخان عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال : اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله ، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق،وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات.

البخاري ك:الوصايا ، باب: قول الله تعالى﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ح٢٧٦٦(صحيح البخاري٢/٢٧٧)، وأخرجه مسلم ك: الكبائر وأكبرها ح ٨٩(صحيح مسلم ٢/٧٠).

(٣) سورة الأنفال من الآية (١٦).

ولرسوله ،لا أن يخفف عن نفوس المقاتلين بالأفلام الماجنة والأغاني الهابطة وإنما بالمحافظة على الطاعات، ثم تحقيق الوحدة وعدم التنازع ، وكذلك بالخروج إخلاصا لله تعالى، ونصرة لدينه لا رياء ولا بطرا.

وبعد هذه القوانين يعدون عدهم وأسلحتهم ومن هذه الأسلحة سلاح اللجوء إلى الله تعالى، يحكي الله عن أصحاب طالوت وهم حزب الإيمان وعددهم قليل أنهم لما واجهوا عدوهم وهم جالوت وجنوده وهم أصحاب العَدد والعُدد لجئوا إلى الله تعالى بالدعاء فكان النصر حليفهم

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(١)، ولذلك كانت النهاية ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ..﴾(٢)

وفي قصة الغلام الذي أخذه أصحاب الأخدود فإنه دعا قائلا:اللهم اكفنيهم بما شئت(٣).

وها هو ذا نوح عليه السلام لما كذبه قومه ورموه بالجنون وزجروه عن تبليغ دعوته ودينه إلى الناس، وبالغوا في تكذيبه مع حرصه على هدايتهم دعا الله تعالى عليهم بعد أن يأس من إيمانهم قال تعالى﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ. فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾(٤) ، فكان الجواب﴿فَفَتَحْنَا

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٠).

(٢) سورة البقرة من الآية (٢٥١).

(٣) أخرجه مسلم ك: الزهد، باب: قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام ح ٣٠٠٥(صحيح مسلم ١٠٤/١٨، ١٠٥).

(٤) سورة القمر الآيتان (٩، ١٠).

﴿أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ. وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ. وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾(١)

وليتدبر القارئ الكريم سرعة هذه الإجابة حيث ورد التعبير عنها بالفاء التي تدل على التعقيب وفيها من سرعة الإجابة ما فيها، وإلى قوله﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ من إسناد التفجير إلى الأرض وهو في الأصل للعيون، فالأصل: وفجرنا عيون الأرض، ولكن حصل بهذا الإسناد معنى الشمول وهو أن الأرض صارت كلها عيونا، وأن الماء كان يفور من كل مكان منها.

وكما قال أيضا حكاية عنه﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾(٢)، وقال﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ. فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٣)

وها هو ذا أيضا نبينا محمدﷺ في غزوة بدر يلجأ إلى ربه ويقول: اللهم أنجز لي ما وعدتني ..

أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس﵁ قال قال النبيﷺ يوم بدر: اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد، فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك فخرج وهو يقول: سيهزم الجمع ويولون الدبر(٤).

وعند الإمام مسلم عن ابن عباس﵁ قال حدثني عمر﵁: لما كان يوم بدر نظر رسول اللهﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر فاستقبل

---

(١) سورة القمر الآيات (١١، ١٢، ١٣).

(٢) سورة المؤمنون الآية (٢٦).

(٣) سورة الشعراء الآيتان (١١٧، ١١٨).

(٤) أخرجه البخاري ك:المغازي، باب قول الله تعالى﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ ح٣٩٥٣(فتح الباري٧/٣٥٨).

القبلة ثم مدّ يديه فجعل يهتف بربه ويقول: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض ، فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله قوله﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، فأمده الله بالملائكة(١).

فكان نصر الله لنبيهﷺ مع أن الواقع يقول بأن هزيمة الرسول وأصحابه محققة باعتبار قلة العدد وانعدام العدة، فما خرجوا لقتال وما أرادوا إلا العير ولكنها عناية الله تعالى ، قال تعالى ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾(٢)

وإذا العناية لاحظتك عيونها ... نم فالمخاوف كلهن أمان

وفي يوم الأحزاب دعا النبيﷺ ربه قائلا: اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم.(٣)

فينبغي على العبد المؤمن أن يلجأ إلى الله عزوجل عند لقاء الأعداء وأن يعلم أن النصر بيد الله تعالى ، فالنبي الكريمﷺ وعده الله بالنصر ومع ذلك لا يهمل سلاح الدعاء، فما أحوج أمتنا في هذا الزمان إلى هذا السلاح.

---

(١) أخرجه مسلم ك: الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم ح ١٧٦٣(صحيح مسلم ١٢/٦٨، ٦٩).

(٢) سورة الأنفال من الآية (٤٢).

(٣) أخرجه البخاري ك: المغازي ، باب:غزوة الخندق وهي الأحزاب ح ٤١١٥ من حديث عبد الله بن أبي أوفي (فتح الباري٧/٥٠٧).

ثالثا ـ الدعاء سبب للسعادة:

إن الذي يدعو الله تعالى يشعر بالسعادة لأنه في معية الله وقرب منه، أما الذي لا يدعو الله يعيش في شقاء وتعاسة ؛لأنه بعيد عما هو قادر على دفع الضر والسوء ولذا نجد إبراهيم عليه السلام يلتجئ إلى ربه بالدعاء ويبين لقومه أن عدم الدعاء شقاء قال تعالى حاكيا قوله﴿وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾(١)أي لعلي لا أكون بدعاء المنعم عليّ خائب المسعى كم خبتم بترك دعائكم الله عزوجل،مع دعائكم من لا يضر ولا ينفع.

رابعا ـ الدعاء صلة روحية بين العبد وربه:

إن العبد عندما يشعر بصلة بينه وبين ربه ، وتذلل وخضوع إليه فقد تيقن أن بابه تعالى هو الباب الذي يطرقه دائما في وقت الرخاء ووقت الشدة لأنسه بالله وقربه إليه،كما أنه عنوان لمعرفة الله فعندما يلجأ العبد إلى الله يؤكد على معرفته به تعالى.

يقول الأستاذ سعيد حوي:"وإنما كان للدعاء أهميته الكبرى والعظيمة لأنه المظهر الأعظم للعبودية والافتقار إلي الله ، وهو مع هذا عنوان معرفة الله فنحن عندما نرفع أيدينا في الدعاء وندعو يكون ذلك اعترافا منا بأن الله موجود وسميع وقادر على كل شيء، وهو الذي يرفع الكربات، ويجيب الدعوات، والدعاء مع ذلك رمز الخضوع والتذلل والافتقار(٢).

خامسا ـ الدعاء سبب للخير:

أخرج البخاري بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ يوصي رجلا فقال: إذا أردت مضجعك فقل اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك

---

(١) سورة مريم من الآية (٤٨).

(٢) الأساس في التفسير (٤/١٩١٨).

ووجهت وجهي إليك ، وألجأت ظهري إليك ،رغبة ورهبة إليك،لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ،آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت ،فإن مت مت على الفطرة (١).

فهذه ثمرة من ثمرات الدعاء الموت على الفطرة ،وفي لفظ آخر قال:فإن مت من ليلتك مت على الفطرة ،وإن أصبحت أصبت خيرا(٢).

وقد ورد لفظ (خيرا) نكرة ، فالصحة والمال والقوة وراحة البال واطمئنان القلب كله من الخير.

فالذي يدعو الله في كل حركاته كما هو مأثور عن النبي ﷺ يشعر بهذه البركة في المال والأولاد والصحة فضلا عن اطمئنان قلبه وراحة باله وإحساسه بقربه دائما من ربه .

---

(١) أخرجه البخاري ك: الدعوات ، باب: ما يقول إذا نام ح ٦٣١٣ (فتح الباري١١/ ١٣٦، ١٣٧).

(٢) أخرجه البخاري ك: الدعوات، باب: إذا بات طاهرا ح ٦٣١١(فتح الباري١٢/٣٨٩)، وأخرجه مسلم ك :الذكر والدعاء والتوبة ، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ح ٢٧١٠(صحيح مسلم١٧/٢٩).

١١) ــ البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ط دار الفكر١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م.

١٢) ــ التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ط دار سحنون تونس بدون تاريخ.

١٣) ــ الترغيب والترهيب للحافظ المنذري ط دار إحياء التراث العربي ط أولى١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م.

١٤) ــ تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ط دار النهضة العربية ط خامسة ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٦م.

١٥) ــ التفسير الكبير للفخر الرازي ط دار الفكر١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢م.

١٦) ــ تفسير الشيخ المراغي ط دار الفكر ط أولى١٤٢١هـ ــ ٢٠٠١م.

١٧) ــ التفسير المنير د/ وهبة الزحيلي ط دار الفكر بدمشق ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م.

١٨) ــ تفسير النسفي ط دار النفائس١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م.

١٩) ــ التفسير الوسيط د/ محمد سيد طنطاوي ط نهضة مصر ط أولى١٩٩٧م.

٢٠) ــ تهذيب اللغة للأزهري ط دار إحياء التراث العربي بيوت لبنان ط أولى١٤٢١هـ ــ ٢٠٠١م.

٢١) ــ جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري ط دار هجر أولى١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م تحقيق د عبد الله بن عبد المحسن التركي.

٢٢) ــ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ط دار الفكر١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠٢م.

٢٣) ــ الداء والدواء لابن القيم مكتبة الصفا ط أولى١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠٢م.

٢٤) ــ الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ط دار الفكر بيروت١٤١٤هـ ــ ١٩٩٣م.

٢٥) ــ روح المعاني في تفسير القرآن للعلامة الألوسي ط دار الفكر بدون تاريخ.

٢٦) ــ سبل السلام في شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام للصنعاني ط دار الفكر١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م.

٢٧) ــ السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك د/ شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب ط مكتبة الرشد أولى١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م.

٢٨) ــ سنن أبي داوود ط دار ابن حزم ط أولى١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨م.

٢٩) ــ سنن ابن ماجة ط دار ابن حزم ط أولى١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م.

٣٠) ــ سنن الترمذي ط دار ابن حزم ط أولى١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠٢م.

٣١) ــ سنن الدارقطني للإمام الكبير علي بن عمر ط دار الفكر١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م.

٣٢) ــ سنن النسائي ط دار ابن حزم ط أولى١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م.

٣٣) ــ صحيح البخاري ط دار الفكر ط أولى١٤٢١هـ ــ ٢٠٠١م.

٣٤) ــ صحيح سنن أبي داوود للألباني ط مكتبة المعارف ط ثانية١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م.

٣٥) ـ صحيح سنن ابن ماجة للألباني ط مكتبة المعارف ط أولى١٤١٧هـ ـ١٩٩٧م.

٣٦) ـ صحيح سنن الترمذي للألباني ط مكتبة المعارف ط ثانية ١٤٢٢هـ ـ٢٠٠٢م.

٣٧) ـ صحيح مسلم بشرح النووي ط دار الفكر١٤٢١هـ ـ٢٠٠٠م.

٣٨) ـ ضعيف سنن الترمذي للألباني ط مكتبة المعارف١٤٢٢هـ ـ٢٠٠٢م .

٣٩) ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ط دار الفكر ط أولى١٤٢٠هـ ـ٢٠٠٠م .

٤٠) ـ فتح القدير للشوكاني ط مؤسسة الريان ط ثالثة ١٤٢٥هـ ـ٢٠٠٤م.

٤١) ـ في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب ط دار الشروق١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٤٢) ـ قصص القرآن للحافظ ابن كثير ط دار السلام ط أولى١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٤٣) ـ الكشاف للزمخشري ط دار الفكر بدون تاريخ.

٤٤) ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ط دار الفكر ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٤٥) ـ لسان العرب لابن منظور ط دار إحياء التراث العربي ط ثالثة بدون تاريخ.

٤٦) ـ محاسن التأويل للقاسمي ط دار الحديث القاهرة ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٤٧) ـ مجمع الزوائد للهيثمي ط دار الفكر ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م تحقيق عبد الله محمد الدرويش.

٤٨) ـ المدخل إلى التفسير الموضوعي للدكتور/عبد الستار فتح الله سعيد ط دار التوزيع والنشر الإسلامية ط ثانية ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٤٩) ـ المستدرك للحاكم ط دار الفكر ١٤٢٢هـ ـ٢٠٠٢م تحقيق د محمود مطرجي.

٥٠) ـ المسند للإمام أحمد ط دار الفكر ط ثانية ١٤١٤هـ ـ١٩٩٤م.

٥١) ـ معالم التنزيل للإمام البغوي ط دار الفكر ط أولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٥٢) ـ المعجم الأوسط للطبراني ط دار الفكر ط أولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٥٣) ـ المعجم الصغير للطبراني ط دار إحياء التراث العربي ط ثانية ١٤٢٢هـ ـ٢٠٠٢م.

٥٤) ـ المعجم الكبير للطبراني ط دار إحياء التراث العربي ط ثانية ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٥٥) ـ معجم مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ط دار الفكر بدون تاريخ تحقيق نديم مرعشلي .

٥٦) ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقي ط دار الحديث القاهرة ١٤٢٢هـ ـ٢٠٠١م.

٥٧) ـ المعجم المفهرس لمواضيع القرآن الكريم محمد نايف معروف ط دار النفائس ط أولى ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٥٨) ـ المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم محمد بسام رشدي الزين ط دار الفكر ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٥٩) ـ المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية ط المكتبة الإسلامية بدون تاريخ .

فهرس الموضوعات